رسالة الى الشباب

العالِمُ الداعيةُ ومنهجيَّةُ التفكير

«مشروع وقاية الشباب نموذجاً»

محمود أمين الشريدة

مدير البحث والتطوير بالمشروع

مفيد محمد سرحان

مدير جمعية العفاف الخيرية

المحتويات

المحتويات	٣
تقديم	٧
بين يدي هذا البحث	١١
المقدمة	١٣
١ – حُسن استعمالهم لأداة التفكر والتفكير (العقل)	١٥
٢ – تفعيل عبادة التَّفَكُّر	١٧
٣ – الالتزام بضوابط المنهجية الصحيحة في التفكير	٢٠
ضوابط التفكير الصحيح	٢٠
أ- التفكر في الخلق لا في ذات الخالق	٢٢
ب- التعامل مع القرآن الكريم على أنه كتاب هداية	٢٣
ج- عدم الخوض والإبحار في غير التخصص	٢٤
د- الاستناد إلى القيم والمعايير الأخلاقية	٢٥
هـ- الالتزام واستمطار الفتوحات الربانية	٢٦
٤ – الإبداع في الربط الصحيح بين الآيات المنظورة والآيات المسطورة	٢٧

نماذج معاصرة من العلماء الدعاة ٣٠
الطبيب الداعية الدكتور مصطفى محمود (رحمه الله) ٣١
الجيولوجي الداعية الأستاذ الدكتور زغلول النجار ٣٦
التربوي الداعية الدكتور محمد راتب النابلسي ٤٠
وآخرون ٤٢
في كل علم آيات تنتظر العالِم الذي يعقلها ٤٣
صاحب المشروع العلمي الدعوي ٤٥
علم الجراثيم ٥٠
المستودع الرئيسي للجراثيم ٥٤
المستودعات المتحركة ! ٥٥
آيةٌ بل آياتٌ في الميكروبات! ٥٨
ما هو الملفت في الأمر؟! ٦٤
أولاً: طبيعة هذه الجراثيم، وطرق انتقالها ٦٤
ثانياً: أمراض ناتجة عن الزنا والشذوذ ! ٦٦
ثالثاً: أمراض جديدة لم تكن في الأسلاف! ٦٨
رابعاً: هذه الجراثيم لا تُسبب أمراضاً جنسية للبهائم! ٦٩
خامساً: الشذوذ ...أصل البلاء وأساسه! ٧٢

سادساً: أكذوبة جين الشذوذ ! ٧٧
سابعاً: جهاز المناعة يتخلى عن صاحبه! ٧٩
ثامناً: جراثيم جادة وتعمل بصمت! ٨٠
تاسعاً: جراثيم تتحدى العلماء! ٨٢
عاشراً: جراثيم تعذب ثم تقتل ٨٤
أحد عشر: جراثيم تستهدف الشباب ٨٥
اثنا عشر: جراثيم وأمراض لا تُشكى ولا تُبكى! ٨٦
ثلاثة عشر: صرعات جنسية وجراثيم جديدة ٨٨
من رحم علم الجـراثيـم ... وُلد المشروع العلمي الدعوي ٩٢
مشروع وقاية الشباب من الأمراض المنقولة جنسياً والأيـدز ٩٦
خصائص الطرح ٩٧
منهجية المشروع ١٠٠
اهداف المشروع ١٠٢
من إنجازات المشروع ١٠٣
الخلاصة والتوصيات ١٠٥

تقديم

فضيلة الدكتور أحمد الكوفحي

المستشار الشرعي للمشروع

الحمد لله الذي ابتدأ نزول كتابه بآيات سورة العلق الخمس الأولى؛ التي أمرت بالقراءة مرتين، ونصت على التعلم بالقلم، وعلى منّة الله على عباده: "عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق:٥)، والصلاة والسلام على من كان أصدق وصف له: «كان خُلقه القرآن»[1] ورضي الله عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن اتبعهم بإحسان من أعلام الهداية الى يوم الدين وبعد:

فقد شرفني أخواي الكريمان الأستاذ محمود الشريدة: «الباحث والمدرّب في مشروع وقاية الشباب» والأستاذ مفيد سرحان: «مدير جمعية العفاف الخيرية» التي تحمل المشروع

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، الحديث رقم: ٣٠٨، ج: ١، ص: ١١٥. دارالبشائر الإسلامية – بيروت، ط: ٣، ١٩٨٩م، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

في الأردن فكرا وتطبيقا؛ شرفاني بطلبهما الىّ أن أقدم لكتابهما القيّم، لكوني أشترك معهما بالمشروع، وبمعرفة مديره التنفيذي العالِم الداعية الأستاذ الدكتور عبد الحميد القضاة.

لقد اطلعت على هذا الكتاب القيّم؛ فوجدت فيه جهداً طيبا كبيراً ومباركاً، يدل على عمق تدبرهما لكتاب الله تعالى فيما يتصل بالإعجاز العلمي، معززاً بالإعجاز اللغوي، من حيث الاستقراء للآيات، وملاحظة العجائب والأسرار التي تدل صاحبها على معرفة الله تعالى وتوحيده في أسمائه وصفاته وأفعاله وربوبيته وألوهيته. وقد تناولا ذلك وهما يتحدثان عن منهجية التفكير التي تجعل العالِم داعيةً إلى الله تعالى، حيث ربط القرآن الكريم بين الحديث عن الحقيقة العلمية، وبين التأكيد على أنها معجزة تدعو الى الايمان بالله. وأبرز ما تناوله التعقيب: «إن في ذلك لآيات»[1] أي معجزات، وربط إدراكها تارة بالعقل والتفكير، وتارة بالحواس التي هي أدوات للعقل: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة:٢٦) ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة:٢٧) ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾(يس:٦٨).

(١) ورد هذا التعقيب في ٢٤ موضعا من كتاب الله عز وجل.

وقد تأكد هذا المعنى حيث شبَّه الله عز وجل مَن عطّل الربط بين الظاهرة العلمية وآيات القرآن الكريم بالأنعام، ثم استدرك ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(الأعراف:١٧٩) فهذا الإدراك المبتور؛ يجعل العالِم لا يبحث عمّن أوجده، ولِمَ أوجده هكذا؟ وما صلته بالإنسان وغيره من الخَلق؟ وبالتالي يُفكّ الارتباط بين العالِم والدعوة إلى الله تعالى.

نعم لقد أوضحا في تناولهما منهجية التفكير؛ التلازم بين معنى العالِم والداعية، ولقد أحسنا صُنعاً بتقديم منهجية التفكير على أعلام حققوا التلازم بين العِلم والدعوة، ولم يقتصرا على بيان العلم المقصود أولا للتعريف به؛ ولكنهما عززا توضيح تلك المنهجية بذكر ثلاثة أعلام في مجالات تخصصية مختلفة: فالأستاذ الدكتور مصطفى محمود في مشروعه «العلم يدعو إلى الإيمان» طبيب وفيلسوف، والأستاذ الدكتور زغلول النجار في مشروعه «الإعجاز

العلمي في القرآن والسنة» جيولوجي متبحّر، والأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، لغوي وتربوي محترف.

ولا يفوتني في نهاية هذا التقديم، بعد شكر المؤلِفيْن ومن ذُكر من أعلام العلماء الدعاة، إلاّ أن أوجه النداء لكل عالِم داعية أن يستفيد من التكنولوجيا المعاصرة؛ ليُساهم في تحقيق وعد الله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(فصلت:٥٣).

والحمد لله رب العالمين

بين يدي هذا البحث

لقد انخرطنا في هذا المشروع (مشروع وقاية الشباب من الأمراض المنقولة جنسياً والإيدز)، منذ خروجه إلى النور حتى كتابة هذه السطور، وواكبنا مسيرة مؤسِّسِهِ (الدكتور عبد الحميد القضاة)، في إنجازاته العلمية الدعوية المختلفة؛ من إعدادٍ للمحاضرات، أو تأليفٍ للكتب وإجراءٍ للأبحاث، وغيرها من الأنشطة، مواكبةً لصيقةً؛ وذلك من خلال العمل مع الدكتور القضاة، سواءً متفرغين أو متعاونين أو متطوعين، على فترات مختلفة، على مدى اثنتي عشرة سنة ماضية. فأحدنا مدير البحث والتطوير في المشروع، والآخر مديرٌ لجمعية العفاف؛ الشريك الرئيسي للمشروع في الأردن، فكان هذا الانخراط، وتلك المواكبة؛ سبباً لإيماننا بأهمية توظيف التخصص العلمي في العمل الدعوي، وذلك لما لاحظناه من تأثر الناس في هذا النوع من المحاضرات، مما عمّق اهتمامنا بالشباب ورغّبنا في نصحه وإرشاده إلى ما هو أنفع.

فحدا بنا هذا كله؛ إلى التفكير في وضع هذه التجربة

بين يدي الشباب، مفصّلين في عرض الأسباب التي أدت إليها، والعوامل التي أخرجتها إلى النور، والمنهجية التي أنجحتها، ونشرتها في مختلف بقاع الأرض، ومهدت لقبولها لدى الناس قبولاً حسناً، في العالمين العربي والإسلامي، بل وفي غيرهما. نضعها بين أيديهم تجربة ناجحة؛ علّهم يتمثلونها في حياتهم العلمية والعملية، ويقتدون بها في مسيرتهم الدعوية والإنسانية، وليجعلوا لهذه المجالات (الأعمال الدعوية والإنسانية) نصيباً في خططهم المستقبلية، وحظاً من اهتماماتهم الدنيوية. وندلهم بذلك على المزيد من الخير؛ ليُخرجوا منه علما يستفيد منه الغير، فتعم الفائدة وينساح الخير بين الناس، وتنتشر أسباب الحضارة والبناء ... لصقل الإنسان قبل البنيان، وتمتين الوجدان قبل الجدران.[1]

---

(١) فهذا سور الصين العظيم، أطول حاجز من صنع البشر، والمعلم الوحيد الذي شيده البشر وأمكن رؤيته من الفضاء الخارجي، بلغ طوله ٦٤٠٠ كم، وتراوح عرضه ما بين ٥ , ٤ – ٩ م، ووصل ارتفاعه ٥ , ٧ م استغرق بناؤه ٢٣٠٠ عام. تم تشييده لتحصين الصين وصد العدوان عنها. لكن التاريخ يذكر أنه تم اجتياح الصين بعد ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرة لم يكن دخول الأعداء باجتياح السور؛ بل من =

المقدمة

خلق الله العباد بأشكال وعقول متعددة، ومفاهيم ونفسيات مختلفة، وأودع في كل واحد منهم من المواهب والقدرات، ما يجعله متميزاً عن غيره ومكملاً له. فشكّل بذلك لوحة فسيفسائية عجيبة، تخلب الألباب؛ فيها من الآيات الدالة على عظمة الخالق، ودقة الصانع، وحُسن التنظيم والترتيب. وإن كان العقل نعمة الله للإنسان؛ إلا أن الخلق شتّى في درجات استعماله. وقد حث الله الإنسان على استعماله؛ ليكون أداته في الإدراك والتمييز، ومعرفة عظمة الله من خلال ما يرى ويسمع؛ ولهذا كان فضلُ العلم كبيراً.

من العلماء من وُفِّق لاستعمال علمه فيما يُرضي الله؛ فأسهم في رفع مستوى الإيمان ومنسوبه عند الناس، من

=البوابات الرئيسية، وذلك بسبب خيانة الحراس وشراء ذممهم من قبل الأعداء؛ فلم يُجدهم نفعاً تشييد البنيان، عندما أهملوا صناعة الإنسان، وكانت مقولة الامبراطور المشهورة: «يا ليتنا انشغلنا برفع القيم قدر انشغالنا برفع الأحجار».

خلال الآيات العظيمة، التي عقلها دون غيره من خلال تخصصه ... فكان عالِماً داعيةً إلى سبيل ربه على بصيرة وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولكن:

كيف أصبح هؤلاء دعاةً متميزين رغم أن دراساتهم الأكاديمية ليست في العلم الشرعي؟!

وكيف وظّفوا تخصصاتهم الأكاديمية على اختلاف مجالاتها لخدمة الدعوة إلى الله؟!

وما هي المنهجية التي تربوا عليها واتبعوها منذ البداية؟

هذا ما سنحاول سبر غوره، ثم دعوة الشباب إليه؛ ليصبحوا علماء دعاةً، يبلّغون دعوة الله بطرق معاصرة، مستفيدين من وسائل التكنولوجيا الحديثة، وآفاق العلم العظيمة التي منّ الله بها على الإنسان في هذا العصر. وقد يكمن سر نجاح العلماء الدعاة في اتباعهم للأمور الآتية:

١- حُسن استعمالهم لأداة التفكّر والتفكير (العقل).

٢- تفعيل عبادة التفكّر.

٣- الالتزام بضوابط المنهجية الصحيحة في التفكير.

٤- الإبداع في الربط الصحيح بين الآيات المنظورة والآيات المسطورة.

ولأهمية ما سبق من نقاط في إرشاد الشباب إلى الطريق الصحيح؛ سنحاول تفصيلها على النحو الآتي:

١ - حُسن استعمالهم لأداة التفكّر والتفكير (العقل):

لقد عُني الإسلام بالعقل عناية فائقة، وحث على استخدامه فيما ينفع البشرية سواءً بما يتعلق بالأمور الدنيوية، كإعمار الأرض، وإصلاح شؤون العباد، وتسهيل معيشتهم؛ لتحقيق معنى الاستخلاف في الأرض، أو ما يتعلق بالأمور الأخروية، وتعميق الإيمان، وبناء الوجدان الإنساني، وتعميق الإيمان من خلال التفكر في آيات الله الكونية، والتعرف على عظمة الخالق وصفاته من خلال مظاهر قدرته، وإحكام سننه الكونية؛ إيجاداً وتنسيقاً وبناءً، وحكمة تسخيرها وتيسيرها لمنفعة الخلق واستقامة حياتهم بها.

فهذا كتاب الله العزيز الحكيم، مصدر التشريع الأول، يزخر بالتوجيهات الربانية، سواءً المباشرة أو غير المباشرة،

التي تحث الإنسان على إعمال العقل والفكر، والتفكر فيما خلق وشرع. ومن مظاهر الاهتمام بهذا الجانب؛ التنوع في المفردات الدالة على هذا المعنى، وكثرة تكرارها، فقد وردت كلمة تَفَكُّر، ومشتقاتها التي تندرج في مضمونها سبع عشرة (١٧) مرة في القرآن الكريم: منها خمسة (٥) مواضع تحض على إعمال الفكر في الحكمة من أقدار الله وتشريعاته، وخمسة (٥) مواضع أخرى تأمر بإعمال الفكر بما يُضرب من أمثال ومعالجة الأمور بالمنطق والعقل، وسبعة (٧) مواطن تشير إلى التفكر في الحكمة فيما خلق الله والقدرة على ذلك.

أما مادة العقل وما ينصرف منها فقد وردت في تسعة وأربعين (٤٩) موضعاً من القرآن الكريم، والإشارة إلى أصحاب العقول، وخصهم بالحديث، وردت تحت مفردة الألباب في ستة عشر (١٦) موضعا، ومادة التذكر بمعنى الفهم والاعتبار، فقد وردت في تسعة وثمانين (٨٩) موضعاً في القرآن الكريم؛ لتحث على الاتعاظ من تجارب الآخرين، وعدم الوقوع في أخطائهم، وتجنب مزالقهم. وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد حث على استخدام العقل وإعمال الفكر،

في كل ما يتعلق بأمور الدين والدنيا، في مائة وواحدٍ وسبعين (١٧١) موضعاً، فيما أحصيناه.

كما وردت الإشادة بالعلماء وأهل العلم، في موضع الحديث عن آيات الله وفهمها وإعمال العقل فيها، ومعرفة المغزى مما يرد فيها من أمثال للعبرة والاتعاظ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٣)، وفي قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾(الروم:٢٢)، والعالِمون هم العلماء الراسخون في العلم على اختلاف تخصصاتهم. كما أن الشيء الوحيد الذي أمر الله رسوله بطلب الاستزادة منه هو العلم، حيث قال: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (طه:١١٤).

٢ - تفعيل عبادة التَّفَكُّر:

العبادة في اللغة تعني الطاعة والتذلل والانقياد وما ينتج عنها. ومفهوم العبادة في الإسلام واسع، ومتعدد الأوجه،

فهو ليس كما يفهمه البعض من أداءٍ لشعائر على هيئات محددة. وليس أدل على ذلك مما ورد في تعليق عَدي بن حاتم الطائي – رضي الله عنه – عندما سمع قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾(التوبة:٣١) فقال: يا رسول الله، إنهم لم يكونوا يعبدونهم! فقال له الرسول ﷺ: أجل، ولكن يُحلُّون لهم ما حرَّم الله فيستحلُّونه، ويحرّمون عليهم ما أحلّ الله فيحرِّمونه؛ فتلك عبادتهم لهم.»[1]

فكل ما يقوم به المسلم استجابة لأمر الله وطاعة له، يدخل في باب العبادة. وبذلك تتنوع أشكال العبادات وتتعدد؛ فإذا قرأنا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به، حديث رقم: ٢٠٣٥٠، ج: ١٠، ص: ١٩٨. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ط٣: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣م. تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

هَٰذَا بَٰطِلًا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(آل عمران:١٩١)، أدركنا أن التفكر في خلق الله، هو لون من ألوان العبادة. بل ربما هو عبادة متقدمة تهب الحياة لبقية العبادات، وتبث فيها الحركة والحيوية؛ لتتحقق من تلك العبادات غايتها، فتتهذب النفس البشرية، ويظهر عطاؤها واقعا ملموسا في خدمة الناس وإعمار الكون.

بل لعلها العبادة التي بنيت عليها وبها أركان الحضارة الإسلامية، فتوسعت في مجالات العلوم المختلفة والصناعات وطورتها، ونقحت ما توصلت إليه الحضارات السابقة، فصححت وعدلت ورتبت، وشرحت واختصرت، ثم اكتشفت واخترعت؛ حتى وصلت بالبشرية إلى أرقى درجات الحضارة والمدنية، من علم وأدب، ودين وخلق، في آن واحد وتناغم بينها جميعا، لم يسجله التاريخ من قبل ولا من بعد لأي من الحضارات الأخرى، حتى يومنا هذا.

٣ - الالتزام بضوابط المنهجية الصحيحة في التفكير:

تعريف المنهجية:

المنهج لغة: هو الطريق المستقيم الواضح الذي يوصل إلى الغاية بسهولة ويسر. والنهج والمنهج والمنهاج في اللغة بمعنى واحد. كما يتضمن معنى الإسراع في السير في الطريق لوضوحها أو في إنجاز العمل لوضوح طريقته. وأصل هذه الألفاظ لغة من الجذر نَهَجَ وأَنْهَجَ بمعنى وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً. جاء في التنـزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(المائدة:٤٨).

والمنهج اصطلاحاً: هو مجموع القواعد العامة والخطوات والقوانين المنظمة التي تحكم عمليات العقل خلال البحث والنظر في مجال معين. والمنهجية باختصار هي «علم بيان الطريق».

ضوابط التفكير الصحيح:

ومما تقدم في موضوعي (التفكّر والتفكير)، و(عبادة التفكر) نجد أن المنهجية الإسلامية في تشكيل العقل المسلم،

تدفعه على الدوام إلى إعمال الفكر تحليلاً واستنباطاً وتفكراً وملاحظة، لكل ما يدور حوله، وكل ما يُحيط به في هذا الكون الرحيب. وبذلك ينشأ المسلم وقد غُرست فيه غريزة التفكر في كل شيء؛ فلا تفوته شاردة ولا واردة من مشاهد الكون إلا أعمل فكره فيها، وأخذ منها العبرة والفائدة بما فتح الله عليه من الفهم والاستيعاب. ثم تلمس ما ترشده إليه من جوانب عمليه تفيد في عمارة الأرض، وتُعينه على مهمة الاستخلاف فيها.

وبذلك أنتجت هذه المنهجية في التفكير علماءَ أفذاذا، برزوا في كل مجال، وأبدعوا في كل فن، وبنوا حضارة متميزة، ما زالت البشرية تجني ثمارها حتى يومنا هذا. وما كان لهم أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه؛ لولا خروجهم عن المألوف في طريقة التفكير التقليدية؛ إذ إن طريقة التفكير النمطية المعتادة لا تأتي بخفايا الأمور ومكنوناتها الدفينة في العمق، ولا تدرك ما بين السطور وما وراء الكلمات؛ كيما تأتي بالجديد. فمن ألف رؤية السماء من فوقه والأرض من حوله، لن يرى فيهما غير الظاهر السطحي الذي يراه غيره، مهما عاود النظر

إليها بنفس النظرة المألوفة. فالفرق بين الشخص العبقري والعادي، يكمن بقدرة الأول على اختراق حجاب المألوف، والخروج من أسر العادة، والتفكير بطريقة متحررة خارج المحبوبات المألوفة.

وقد التزم هؤلاء العلماء الدعاة بضوابط التفكير السليم ومنها الآتي:

أ- التفكّر في الخلق لا في ذات الخالق:

لا يمكن للعقل البشري إدراك كُنْه الخالق؛ وذلك لضعفه ومحدوديته، وبالتالي فلا طائل من استخدام هذه الأداة لغير ما صُنعت له؛ بل إن ذلك لا شك يُتلفها، ويُفسد غايتها، وإن صانع هذه الأداة (العقل) هو الذي بيّن ذلك وقرره في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(آل عمران:١٩١)، فقال: يتفكرون في خلق السماوات والأرض، ولم يقل: في خالق السماوات والأرض. والآيات في كتاب الله كلها تحث على إعمال الفكر والعقل في

خلق هذا الكون المنظور؛ لإدراك صفات الخالق لا ذاته؛ إذ لا سبيل للإنسان إلى ذلك. والرسول ﷺ يوجهنا في ذلك، التوجيه السليم فيقول: «تفكَّرُوا فِي آلاء الله، ولَا تَفَكَّرُوا فِي الله.»[1] وزاد في رواية أخرى عن ابن عباس أيضاً: «فإنكم لن تقدرَوا قدره.»

ب- التعامل مع القرآن الكريم على أنه كتاب هداية:

لم يذهب هؤلاء العلماء الدعاة بعيداً - أكثر مما ينبغي - في تعاملهم مع النصوص الشرعية، وعلى رأسها كتاب الله عز وجل. فأثناء التفكير بآيات الله المسطورة وإسقاطها على آيات الله المنظورة في الكون، لم ينسوا أن هذا القرآن قد أُنزل على الرسول ﷺ كتاب هداية وتشريع وإرشاد إلى الطريق القويم الذي يُصلِح للناس دينهم ودنياهم، وليس بهدف تزويد البشرية بالمعلومات الثقافية وتفاصيل المعرفة العلمية.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ج: ٦، ص: ٢٥٠، حديث رقم: ٦٣١٩. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ١٠ أجزاء.

وقد أكّد العالِم الداعية الأستاذ الدكتور زغلول النجار على هذا المفهوم، بأن القرآن كتاب هداية للبشر، وليس كتابًا للعلم والمعرفة موضحًا ذلك في قوله: "أشار القرآن في محكم آياته إلى هذا الكون ومكوناته بما يقارب ألف آية صريحة، بالإضافة إلى آيات تقترب دلالتها من الصراحة. وردت هذه الآيات من قبيل الاستشهاد على بديع صنع الله سبحانه وتعالى، ولم ترد بمعنى أنها معلومة علمية مباشرة تعطَى للإنسان لتثقيفه علميًّا."[1].

ج- عدم الخوض والإبحار في غير التخصص:

التفكر في آيات الله في الكون من حولنا من أهل العلم والاختصاص، والربط الصحيح بين ما يحيط بنا من ظواهر كونية واضحة أو حقائق علمية مطلقة، وبين ما نتلوه من آيات قرآنية أو نصوص لأحاديث نبوية قطعية الدلالة والثبوت؛ أمر في غاية الأهمية، يأتي بما يبهر العقول والألباب، وربما يرفع

(١) حوار نشرته صحيفة المدينة الإلكترونية، الثلاثاء ١٤٣٥/ ١٢/ ٦ هـ، ٢٠١٤/ ٠٩/ ٣٠ م، العدد: ١٨٧٨٧، الرابط التالي:
http://www.al-madina.com/node/424764

منسوب الإيمان عند الإنسان. ولكن لا بد من الحذر والتحذير من الاعتماد على نص ظني الدلالة، أو فرضية علمية غير ثابتة.

ولا بد من التحذير من مزالق الرغبة بالإتيان بما هو جديد، للحاق بركب العلماء الدعاة الأفذاذ، فيخوض البعض في غير تخصصه، أو يُبحر إلى أعماق لم يبلغها علمه، فيحمِّل الأمور ما لا تحتمل، كي يبرهن على صحة فكرته.

وعلى هذه المعاني يؤكد د. زغلول النجار في مجال الإعجاز العلمي في القرآن مثلاً فيقول: (أما الإعجاز العلمي للآيات الكونية فلا يجوز أن يوظف فيه إلا القطعي من الثوابت العلمية، ولا بد للتعرض لقضايا الإعجاز من قبل المتخصصين كلٍّ في حقل تخصصه).

د- الاستناد إلى القيم والمعايير الأخلاقية:

التوجه إلى جلب النفع ودفع الضرر لتحقيق مصالح الناس في دينهم ودنياهم، يجب أن يكون هو الهاجس الأكبر في نفس العالِم. فمدار الأمر في الشرع هو دفع الضرر عن العباد، وجلب المصالح لهم. وهو من مقاصد الشرع وأسسه العظيمة.

فيجب أن يكون التوصلُ إلى ما يحقق الخير للبشرية، ويدفع عنهم ما يضرهم، أهمَّ محرك للعالِم المسلم. وليس مقبولاً منه مطلقاً البحث والتنقيب عن أمر يوقع بهم ضرراً أو يمنع عنهم خيراً. بل لا يجوز له أن يكتم ما قد يفتحه الله عليه ويوفقه إليه من علوم ومعارف تعود على البشرية بنتائج إيجابية.

هـ- الالتزام واستمطار الفتوحات الربانية:

فإخلاص النية والتوجه بالدعاء إلى الله عز وجل، يأتي دائما مع إحسان العمل وإتقانه؛ للحصول على الثمرة الطيبة، ونيل المنى وبلوغ المرام. فبغير توفيق الله، مهما أُحسن العمل وأتقن لا يمكن الوصول إلى النتيجة المرجوة وصدق من قال:

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهاده

والاشتغال في مجال العلم النافع، والانشغال به؛ مظنة رضا الرحمن وتوفيقه، فإذا حصل عليهما العالِم (الرضا والتوفيق) جاءت الفتوحات الربانية. فيفتح الله له مغاليق الفهم، فيحل معضلة شائكة، أو يأتي بمعلومة جديدة كانت خافية، أو يلقنه الله الحجة والدليل ليوضح أمراً ملتبساً.

وكلها قد تكون أموراً بحث فيها غيره من السابقين من أهل العلم، ولكن الله اختصه من دونهم – لحكمة أرادها وجاء أوانها – بالفتح والإفهام.

ومن كمال التزام العالِم الداعية، وحُسن تأثيره: تواضعه وجمال مظهره الشخصي، وابتسامته الجاذبة، والتزامه بوعوده ومواعيده، واستعماله للتقنيات الحديثة، وسلاسة أسلوبه وبساطته، وقدرته على إيصال فكرته إلى كل الناس على اختلاف الأفهام والمستويات.[1]

٤ – الإبداع في الربط الصحيح بين الآيات المنظورة والآيات المسطورة:

لقد خاطب الله عز وجل الناس عامة، وأرشدهم إلى التفكر وإعمال العقل، وخصَّ في خطابه، أهل التخصص والعلم بالفهم والعقل والإدراك، لما يضربه من أمثال، ويعرضه من آيات، فهم من يدرك قيمة ذلك ومعناه، وبهم

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، كتاب محطات وعبر، عمان – الأردن، ط١: ٢٠١٤م، ص: ١٥٦ – ١٦٤.

يُناط تحقيق هدفه ومبتغاه، وإلّا ضاع المعنى المقصود، ولم يُتوصل منه إلى الفائدة المرجوّه. وقد جاء الخطاب لأهل العلم عامة، دون تخصيص لمجال عن مجال، أو تمييز لتخصص على تخصص، بل هو خطاب موجه لكل متخصص على حد سواء.

وهذا يعني أنَّ كلَّ ذي عِلم وكل ذي تخصص، مطالب بالإفادة مما علَّمه الله، واستخدام أدوات العلم الذي يسره الله له، في كشف نواميس هذا الكون، وتوجيهها التوجيه الصحيح الذي يُصلح الحياة البشرية، ويُفيد الناس منها؛ بل ويعرِّفهم عظمةَ خالقهم من خلالها، ويوثّق عُرى إيمانهم بالله، ويدعوهم إلى تعظيمه، وتسبيحه، وإدراك معاني أسمائه الكاملة وصفاته التامة. فهذا دوره في الحياة، وهنا تكمن أهمية وجوده في المجتمع، وتبرز قيمته في بناء الحضارة العلمية، وتعميق الوعي الإيماني. وبذلك يكون قائداً للناس، ومعلماً وقدوة ومنارة هداية ورشاد. فعلى عاتق العلماء وأهل الاختصاص، التنقيب عن كنوز الكون المدفونة في ثنايا ما أنزله الله من علم، وعلّمه للبشر؛ ليتعرف الإنسان من خلالها خالقَ الأكوان، رب العالمين. وبغير ذلك فلا قيمة له ولا

لعلمه ولا معنى لوجوده إذ تساوى بعدمه، فمن لم يضف في الحياة شيئاً كان هو عالة عليها.

أما العلماء العاملون، الذين أفنوا حياتهم في ترسيخ العقيدة ورفع منسوب الإيمان، والاشتغال بما ينفع الناس؛ فقد تفرّد التاريخ بذكرهم دون غيرهم، إلاّ أن الذين اشتغلوا بالعلم كانوا أكثر من ذلك بكثير، وبلغوا أضعافاً مضاعفةً عمن بلغنا ذكرهم، ووصل إلينا علمهم. والسؤال هنا: لِمَ لَمْ يبلغنا إلا ذكر هؤلاء؟ وبم اختلف هؤلاء عن غيرهم؟، واقع الأمر أن هؤلاء قد لا يكونون أغزر علماً من غيرهم؛ لكنهم تميزوا بأنهم علِموا وعملوا، وعلَّموا فورَّثوا من ينقل العلم النافع، وما يمس حاجات الناس. فيُكَمِّل نقصهم، ويقوِّي ضعفهم، ويُقيل عثرتهم؛ فيتقبلونه قبولاً حسناً، ويؤثر فيهم تأثيراً يجعلهم يحملونه في قلوبهم وعقولهم، وينقلونه لغيرهم، ويورثونه لمن بعدهم علماً تنتفع به الأجيال. وهكذا يكتب الله لمثل هذا العلم النافع أن يُخلّد ويُنشر، بينما يُغمرُ الآخرُ ويُدثَر.

نماذج معاصرة من العلماء الدعاة

إنّ استعراض سيرة العلماء الدعاة وتقديم أمثلة ونماذج من مختلف مراحل التاريخ، وأنواع التخصصات ما يوضِّح ويحفِّز، والتاريخ الإسلامي يزخر بالأمثلة، ولكن العبرةَ قد تكون أعمق، والمحفِّزَ للشباب أقوى، والنموذج أفعل؛ إذا كان من التاريخ المعاصر أو المعاش. لهذا آثرنا أن نعرض نماذج معاصرة، لأناس من أهل العلم في فنون مختلفة، لاقوا قبولاً بين عامة الناس وخاصتهم؛ فأضافوا للدعوة إلى الله روحاً جديدة، وأثّروا في المجتمعات تأثيراً بليغاً. عرَّفوا الناس بربهم؛ فحببوه لهم، ومن حيث أحبوه لا شك في أنهم أطاعوه، وكل ذلك من خلال النظر في آيات الله الكونية، وربطها بآياته المحكمة المنزلة، وتقديم ذلك للناس بأسلوب يسهل عليهم فهمه واستيعابه. فقادوهم للوقوف بين يدي ربهم، مسبحين معظمين، مهللين مكبرين، خاضعين خاشعين، يلهجون بحمده من قلوب ملأها العلم يقيناً به.

الطبيب الداعية الدكتور مصطفى محمود
(رحمه الله)

طبيب ومفكر وكاتب مصري، ولد عام ١٩٢١م، درس الطب وتخصَّص في الأمراض الصدرية، ولكنه تفرغ للكتابة والبحث والدعوة.

بدأ حياته متفوقاً في الدراسة، حتى ضربه مدرس اللغة العربية؛ فغضب وانقطع عن الدراسة مدة ثلاث سنوات، إلى أن انتقل هذا المعلم إلى مدرسة أخرى، فعاد مصطفى محمود لمتابعة الدراسة. وفي منزل والده أنشأ معملاً صغيرًا يصنع فيه الصابون والمبيدات الحشرية ليقتل بها الحشرات، ثم يقوم بتشريحها، وحين التحق بكلية الطب اشتُهر بـ «المشرحجي»، نظرًا لوقوفه طول اليوم أمام أجساد الموتى، طارحًا التساؤلات حول سر الحياة والموت وما بعدهما.

قال عن نفسه:

«كنت كثيراً ما أرقد مريضاً وأنا طفل. ولذلك حرمت من اللعب العنيف والانطلاق الذي يتمتع به الأطفال،

وكانت طفولتي كلها أحلام وخيال وانطواء. وكنت دائماً أحلم وأنا طفل بأن أكون مخترعاً عظيماً أو مكتشفاً أو رحالاً أو عالماً مشهوراً. وكانت النماذج التي أحلم بها هي كريستوفر كولمبس وأديسون وماركوني وباستير.»

«اخترت دراسة الطب، وشعرت ساعتها أنها تُرضى فضولي وتطلعي إلى العِلم ومعرفة الأسرار، وكانت الدراسة صعبة وتحتاج إلى إرادة وتركيز ونوع من الانقطاع والرهبانية. واحتاج الأمر مني إلى عزم وترويض ومعاناة. وكان حبي للعلم وطموحي يساعدني.»

«وكانت لي رحلة داخل نفسي، ركبت فيها سفينة العلم والمعرفة والفلسفة والدين (بدءاً من الفيدات الهندية[1] وزرادشت وبوذا وانتهاءً بموسى وعيسى ومحمد ﷺ) حيث وجدت بين صفحات القرآن قراري ومسكني وراحتي، وحيث ألقيت عصا الترحال، وأدمنت الفكر والتأمل، وعاشرت الفقهاء والعلماء والصوفية، ووجدت القرآن بحراً

(١) الكتب المقدسة في الدين الهندوسي، وهي موسوعة ضخمة في ٨٠٠ مجلد.

تلتقي فيه كل روافد المعرفة. وكانت لي خمسة كتب في نقد الفكر الماركسي: أكذوبة اليسار الإسلامي، والماركسية والإسلام، ولماذا رفضت الماركسية، والمسيح الدجال، وسقوط اليسار.»

إنجازاته:

ألّف الدكتور مصطفى محمود (٨٩) كتاباً منها الكتب العلمية، والدينية، والفلسفية، والاجتماعية، والسياسية، إضافة إلى الحكايات، والمسرحيات، وقصص الرحلات. ويتميز أسلوبه بالجاذبية مع العمق والبساطة.

أنشأ عام (١٩٧٩) مسجده في القاهرة المعروف بـ «مسجد مصطفى محمود" ويتبع له ثلاثة مراكز طبية، تهتم بعلاج ذوي الدخل المحدود، ويقصدها الكثير من أبناء مصر نظراً لسمعتها الطبية. وشكل قوافل للرحمة من ستة عشر طبيبًا. ويضم المركز أربعة مراصد فلكية، ومتحفاً للجيولوجيا، يقوم عليه أساتذة متخصصون. ويضم المتحف مجموعة من الصخور الجرانيتية، والفراشات المحنطة بأشكالها المتنوعة، وبعض الكائنات البحرية.

برنامج العلم والإيمان:

برنامج تلفزيوني، تناول العلم على الأسس الايمانية، قدمه الدكتور مصطفى محمود في (٤٠٠) حلقة على مدار ثماني عشرة سنة. استطاع من خلاله أن يمزج بين عجائب وغرائب هذا الكون العجيب الذي نعيش فيه، وبين الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، وقدرته على تغيير الأشياء، وعلى جعل خلقه جميعاً يتأملون فيما قدره سبحانه وتعالى. وقد تناول الدكتور مصطفى محمود من خلاله العديد من المواضيع التي تجعل الإنسان يقف متحيراً أمام الغرائب والعجائب التي تناولها. وهو كما وصفه مقدمه: «برنامج يتخذ من الصورة والمادة العلمية والتأمل الصوفي مدخلاً إلى الإيمان بالله».

لم تكن الطريق معبدة له ليحقق هذا الإنجاز الكبير، ولم تسرْ الأمور بسهولة ويسر، بل واجه أشكالاً من المعاناة والصعوبات. يروي الدكتور مصطفى محمود أنه عندما عرض على التلفزيون مشروع برنامج العلم والإيمان، وافق التلفزيون راصدًا (٣٠) جنيهاً للحلقة! وهو مبلغ زهيد مقارنة بما كان يصرف من جيبه على الأبحاث، والسفر

للخارج لجمع المعلومات الثمينة، التي كان يقدمها في البرنامج. وكاد المشروع يفشل منذ بدايته إلا أن أحد رجال الأعمال علم بالموضوع فأنتج البرنامج على نفقته الخاصة ليصبح من أشهر البرامج التلفزيونية وأوسعها انتشاراً على الإطلاق.

ويعدّ هذا البرنامج من الأسباب الأساسية لشهرة الدكتور «مصطفى محمود» في مصر والعالمين العربي والإسلامي، حيث ذاع صيته وانتشر في الآفاق، حيث كان ينتظره الملايين في كل أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وينتظره الناس بشغف ولهفة كل أسبوع، يستوي في ذلك الرجلُ والمرأةُ، والطفلُ والشيخُ الكبير... الكل كان ينتظر الحلقة الأسبوعية من برنامجه الرائع «العلم والإيمان». وقد أعيدت إذاعة معظم حلقاته على العديد من القنوات الأرضية والفضائية، وما زال إلى الآن يحظى بنسبة مشاهدة كبيرة يندر أن تتحقق لغيره من البرامج.

الجيولوجي الداعية الأستاذ الدكتور زغلول النجار

عالِم فذ، وداعية بارع، أسس – بعلمه الموسوعي – للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ولد عام (١٩٣٣م). ظهر نبوغه مبكراً في جامعة القاهرة عام (١٩٥٥م)، حيث كان أول الحاصلين على جائزة مصطفى بركة لعلوم الأرض. وحصل على الدكتوراه في علوم الأرض من جامعة ويلز ببريطانيا سنة (١٩٦٣م).

الإنتاج العلمي:

صدر له أكثر من ثلاثمائة وخمسين بحثاً ومقالاً علمياً منشوراً، وألف أكثر من خمسة وسبعين كتابا باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية. تضمنت ثلاث موسوعات: في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وفي التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم، وفي الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة. كما سجل ثلاثمائة حلقة تليفزيونية، حول تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، بالإضافة إلى سلسلة من

الأشرطة السمعية والبصرية، والأسطوانات المدمجة في مجالات متعددة من القضايا الإسلامية، أهمها (الإسلام والعلم). منح أكثر من ١٢ جائزة محلياً، وعربياً، ودولياً. وساهم في تأسيس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

العالِم الداعية

للدكتور زغلول النجار اهتمامات واسعة متميزة ومعروفة في مجال "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم"، حيث يرى أنه وسيلة مهمة وفعالة في الدعوة إلى الله عز وجل، ويقول عن تقصير علماء المسلمين تجاه هذه الرسالة: "لو اهتم علماء المسلمين بقضية الإعجاز العلمي وعرضوها بالأدلة العلمية الواضحة لأصبحت من أهم وسائل الدعوة إلى الله عز وجل."[1]، ويرى أن هؤلاء العلماء هم وحدهم القادرون، بما لهم من دراسة علمية ودينية، على الدمج بين

(١) زغلول النجار الجيولوجي الداعية، مقالة في موقع اسلام ويب. وسيشار إليها لاحقا ب «مقالة اسلام ويب» انظر الرابط التالي:
http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=144245

هاتين الرسالتين وتوضيحهما إلى العالم أجمع.

جاب الدكتور زغلول العالم طولاً وعرضًا داعيًا إلى الله عز وجل، على علم وبصيرة. ولا يذكر أن هناك بلدًا لم يتحدث فيه عن الإسلام من خلال الندوات والمؤتمرات أو عبر شاشات التلفزة.

يوجه الدكتور زغلول حديثه إلى كل شاب وفتاة بأن عليهم فَهْم هذا الدين، وحمل تعاليمه إلى الناس جميعًا؛ فيقول في إحدى محاضراته: «نحن المسلمون بأيدينا الوحي السماوي الوحيد المحفوظ بحفظ الله، كلمة كلمة، وحرفًا حرفًا قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، وأنا أؤكد على هذا المعنى؛ لأني أريد لكل شاب وكل شابة مسلمة أن يخرج به مسجلاً في قلبه وفي عقله؛ ليشعر بمدى الأمانة التي يحملها على كتفيه.»[1]

كما يؤمن الدكتور زغلول بأن علينا تسخير العلم النافع بجميع إمكاناته، وأن أحق من يقوم بهذا هو العالِم المسلم: «فنحن نحيا في عصر العلم، عصر وصل الإنسان فيه إلى قدر من المعرفة بالكون ومكوناته لم تتوفر في زمن من الأزمنة

(١) المرجع السابق.

السابقة؛ لأن العلم له طبيعة تراكمية، وربنا سبحانه وتعالى أعطى الإنسان من وسائل الحس والعقل ما يعينه على النظر في الكون واستنتاج سنن الله»، ويقول في موضع آخر: «ولما كانت المعارف الكونية في تطور مستمر، وجب على أمة الإسلام أن ينفر في كل جيل نفر من علماء المسلمين الذين يتزودون بالأدوات اللازمة للتعرض لتفسير كتاب الله.»[1].

(١) المرجع السابق.

التربوي الداعية الدكتور محمد راتب النابلسي

من مواليد دمشق سنة ١٩٣٨م، لزم دروس العلم الشرعي لعدد من علماء دمشق، حيث درَس التفسير، والحديث، والفقه، والسيرة، والفرائض، ونال إجازة إسلامية في رواية الحديث الشريف من أستاذه في كلية الآداب العلامة الدكتور الشيخ صبحي الصالح؛ أستاذ علوم القرآن، وعلوم الحديث، وفقه اللغة، في جامعة دمشق. ثم تخرج من معهد إعداد المعلمين بدمشق، ثم حصل على الإجازة في آداب اللغة العربية وعلومها، فدبلوم التأهيل التربوي بتفوق من جامعة دمشق. حصل على الماجستير في الآداب من جامعة ليون (فرع لبنان)، والدكتوراه في التربية من جامعة دبلن في إيرلندا.

عمل في حقل التعليم الجامعي، قرابة ثلاثين عاماً يدرس مادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، كما أشرف على مجلة نهج الإسلام التي تصدرها وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية. وله العديد من المؤلفات: النظرات في الإسلام، التأمّل في الإسلام، ومضات في الإسلام، سلسلة أسماء الله الحسنى،

الإسراء والمعراج، الله أكبر، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تفسير سورة النور، وجزء عم.

الداعية التربوي المتميز:

هو محاضر من الطراز الأول، ألفته أذن المستمع من خلال دروسه ومحاضراته القيمة. تميز أسلوبه بتتبع المعلومة العلمية الدقيقة، في مختلف ميادين العلوم الكونية والتطبيقية. كان لمعظم نشاطاته الدعوية، وبخاصة الخطب والدروس والمحاضرات والكلمات التي يلقيها في المؤتمرات، الحظ الأوفر بالبث عبر الإذاعات العربية والإسلامية؛ نظراً لما تتمتع به من مضمون دعوي متميز، وأسلوب أدبي فني رائع، بعيداً عن التطرف والشطط.

وله محاضرات وندوات وحوارات وبرامج مرئية؛ بثت عبر عدة محطات تلفزيونية رسمية وخاصة، عربية وإسلامية، وكان من أبرز البرامج التي بثتها هذه القنوات دروس شرح أسماء الله الحسنى، وتفسير سورة الأعراف، والإسلام والحياة، والفقه الحضاري، والإيمان هو الخلق، وعدة ندوات مباشرة كان لها أثر طيب في الوسط الإسلامي.

وآخرون ...

وهناك الكثير من ذوي العلم والفضل الدعوي، يضيق المقام عن ذكرهم جميعاً، لكننا أوردنا هذه الشخصيات أمثلة ما زلنا نحيا آثارها ونلمس تأثيرها. أمثلة على أصحاب التخصصات المختلفة سواءً من العلوم الطبية والعلوم التطبيقية أو الإنسانية والتربوية. وكيف أضفوا على هذه التخصصات التي تعمقوا فيها، وتميزوا في علومها؛ وبرعوا في فنونها، أضفوا عليها من علوم الدين والدعوة ثوباً، مكّنهم من الدعوة إلى الله بأسلوب عز نظيره من العمق والتأثير، وسحرٍ للعقول والألباب. وإنما ذُكرت هذهالأمثلة الثلاثة للتوضيح والبيان والاقتداء. ومثلهم كثير، لا يقلون عنهم شأنا، وليسوا أدنى منهم مرتبة، ربما أعاننا الله أن نكتب عنهم في قادم الأيام، لنوفيهم بعض حقهم في موضعٍ هو الأنسب للتفصيل والتوسع والإسهاب.

في كل علم آيات تنتظر العالِم الذي يعقلها

جعل الله الأفهام والعقول متفاوتة القدرات في المجال الواحد، متنوعة المواهب بمختلف الفنون والعلوم. فجاء التباين بينها واسعاً، والاختلاف كبيراً. فاستوعبت حكمةُ الله مختلفَ الأذواق والميول، وأشبعت جميع المستويات، وغمرت كافة الأفهام. وعلى كثرة الاكتشافات العلمية وتعددها، إلا أنه مع كل اكتشاف جديد، أو ثورة علمية حديثة، تتفتح المزيد من الآفاق لإبداع العقل البشري، وتوسيع مداركه، وتضخيم علومه ومن ثم اختراعاته واكتشافاته ... وهكذا.

ولهذا لا يمكننا القول إننا – معشر البشر – قد بلغنا كمال العلم، في أي مجال من المجالات، أو فن من الفنون، فكلما ازداد الإنسان علماً، ازداد معرفة بمقدار جهله، ومن ثمّ ازداد تواضعاً. ويبقى دائماً فوق كل ذي علم عليم، تتطاول الأعناق إلى الاقتباس من علمه، وتشرئب إليه القلوب، وتتوق النفوس إلى الاستزادة منه. وهنا يكمن السر المحفز الذي لا يتوقف؛ لطلب العلم والبحث عن المزيد، واكتشاف

ما لم يُكتشف بعد ... لأنه دائما هناك المزيد. وهناك آيات من آيات الله الكونية، تكمن في كل علم من العلوم، تنتظر العالم الذي يعقلها، ويخرجها للناس لعلهم ينتفعون بها ويعتبرون، ورحم الله أبا العتاهية إذ قال:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وهذا يضع كل ذي فن وعلم وتخصص أمام مسؤولياته، في إعمال كل ما أعطاه الله من قدرة ذهنية وفكرية في مجاله، للإتيان بالجديد المفيد، على أرضية تفعيل عبادة التفكر، والمنهجية الإسلامية في التفكير.

صاحب المشروع العلمي الدعوي

عرضنا سابقاً لأمثلة من العلماء الأفذاذ، من الذين عاشوا أو ما زالوا يعيشون بين ظهرانينا؛ تحدثنا عنهم وعن إنتاجهم العلمي وآثارهم الدعوية، وما تميزوا به كأشخاص، نبغوا واجتهدوا وأعملوا فكرهم، وأمعنوا في الحياة تفكيراً وربطاً وتحليلاً من خلال علومهم التي درسوها، وتخصصاتهم التي أتقنوها.

وفي الحديث عن علم الجراثيم، وربطه بالدعوة إلى الله، نجد أنفسنا أمام أحد العلماء المبدعين في هذا المجال. عالِم اتخذ من علمه نبراساً يضيء له طريق دعوته؛ ليشعل هو للآخرين منارات الهداية في الطريق إلى معرفة الله، من خلال التعرف إلى بديع صنعه وعظيم قدرته عز جل. إنه عالِم الجراثيم الأستاذ الدكتور عبد الحميد القضاة، مؤسس مشروع وقاية الشباب ومديره التنفيذي. هذا العالِم العَلَم، الذي خبرناه من خلال عملنا معه لأكثر من عشرة أعوام؛ سواءً في مساعدته خلال إعداده لسلسلة محاضراته العلمية الإيمانية، أو من خلال العمل معه في مشروعه العلمي الدعوي: "مشروع وقاية الشباب".

الدكتور عبد الحميد القضاة[1]

من مواليد قرية عين جنَّا في محافظة عجلون – الأردن، عام (١٩٤٦م)، أكمل دراساته الجامعية والعليا متنقلاً بين الشرق والغرب، من باكستان إلى بريطانيا. فحصل على خمس شهادات علمية في مجال تخصصه (علم الجراثيم والأمصال)، أثرى ذلك الترحال تجاربه، وأكسبه معرفة واسعة بعادات وتقاليد لشعوب متباينة. وأفاد من ذلك كله في تكوين

(١) كنا قد كتبنا عن الدكتور القضاة أكثر مما ورد تحت هذا العنوان بكثير، وقد رأينا في ذلك فرصة لإيفاء هذا العلم بعض الذي يستحق، ولنبين للناس بعضاً مما خفي عليهم من فضائله وسماته التي تستحق أن يقتدى بها؛ غير أن الدكتور قد اطلع على البحث قبل طباعته، فأصر على حذف الكثير، ولم يأذن لنا إلا بأقل القليل، والضروري الذي لا مندوحة عنه، متعذرا بقوله: «اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني خيرا مما يظنون». ولم نجد لنا مندوحة من النزول عند رغبة الدكتور القضاة؛ ولنا وللقارئ الكريم عزاءً في كتاب «محطات وعبر» الذي صدر مؤخرا للدكتور نفسه، ويغطي جانبا من تفاصيل حياته ومشواره العلمي، وكفاحه للوصول إلى ما هو عليه. نسأل الله أن يتقبل منه ما مضى ويثبته فيما بقي.

شخصيته دون أن يخرج عن أساسه الإسلامي الذي نشأ وترعرع عليه.[1] توَّج مسيرته العلمية والدعوية بإبداعات واختراعات في مجال تشخيص الأمراض المنقولة جنسياً، وسبعة عشر مؤلفاً، ودليلاً للمدربين في مجال وقاية الشباب من الأمراض المنقولة جنسياً والإيدز (برؤية إسلامية)، باللغتين العربية والإنجليزية، بالإضافة إلى العديد من الأبحاث والمشاركات في المؤتمرات الدولية خصوصاً تلك التي تتعلق بالأمراض المنقولة جنسياً والإيدز[2]. كما تم اعتماده مستشاراً للطب الوقائي في الإسلام لدى المستشفى الإسلامي في عمان، وخبيراً للأمراض المنقولة جنسياً والإيدز لدى الاتحاد العالمي للجمعيات الطبية الإسلامية (FIMA).

وعلى ما سار عليه أولو الفضل من أهل العلم اجتهد

---

(١) عبد الحميد القضاة، «محطات وعبر»، مختصر من فصول متفرقة بتصرف.

(٢) الدكتور عبد الحميد القضاة، ومحمود الشريدة، كتاب التربية الجنسية ضرورة أم ضرر، عمان – الأردن، من مطبوعات مشروع وقاية الشباب، ط١: ٢٠١٤م، صفحة الغلاف الداخلية الأخيرة. ويشار إليه لاحقاً ب «التربية الجنسية».

الدكتور عبد الحميد أن يسير، وبنفس الأثر الذي اقتفوه حرص أن يقتفي، وبالكرام تشبه؛ إذ إن "التشبه بالكرام فلاح". ولم يعتقد يوماً أن العلم للتخزين والحفظ في الذاكرة، بل هو رسالة يجب أن تأخذ حقها ويُؤديها أهلها على أحسن وجه، وأتم صورة. ولهذا السبب كان ولا يزال للعاملين من أهل العلم دورهم وبصماتهم في مسيرة البشرية، وتطور حياتها الإنسانية والعملية على حد سواء. فإذا كان الله تبارك وتعالى يفتح على المشتغلين من أهل العلم في شتى المجالات، ويُنعم عليهم فيُطلعهم على الكثير من أسرار الخلق، وعظمة الخالق؛ فهذا يوجب عليهم توظيف علومهم ومعارفهم وخبراتهم فيما يُرضي الله تبارك وتعالى.[1]

في هذا الإطار يقول الدكتور القضاة: "بحكم اختصاصي في علم الجراثيم، فقد هالني ما رأيته من عجيب خلق الله تحت عدسات المجاهر في المعامل والمختبرات، وما فتح الله به عليّ من فهم إيحاءات هذا الخلق في محراب التفكر، مما يُعظِّم

(١) الموقع الشخصي للدكتور عبد الحميد القضاة على شبكة الانترنت. www.qudah.com

الإيمان بالخالق، ويُوطده في القلوب، فتتولد في النفس رغبة لتوصيل هذا الشعور، وهذا الإيمان إلى قلب كل إنسان... ليُسبِّح بعظمة الخالق من أعماق قلبه، ويعبده على علم، فكانت الرغبة ملحة لتقديم هذه الحقائق العلمية الثابتة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، من أبناء هذه الأمة خاصة ومن البشر عامة، عساها تكبِّر بذرة الإيمان في القلوب.... وتغرس غرسة في النفوس... فيرتفع بذلك مستوى إيمان الأمة بمجموعها، لذا فإنني آمل أن ينفع الله الناس بهذا العمل، فتتحقق به الصدقة الجارية بإذن الله. وأدعو الله أن يلحقني بالصالحين من العلماء الدعاة العاملين، رصيدي في ذلك حبهم والاقتداء بهم، متمثلاً قول الإمام الشافعي رحمه الله:

أحب الصالحين ولستُ منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواءً في البضاعة"[1]

(١) مقابلة خاصة مع الدكتور القضاة، وسيشار إليها لاحقا ب «المقابلة الخاصة».

علم الجـراثيـم

وهو العلم الذي برع فيه أستاذنا الدكتور عبد الحميد القضاة، وهو علم دقيق يبحث الجراثيم التي بثها الله في كل مكان، وهي مخلوقات حية لا تُرى بالعين المجردة، إلا بعد تكبيرها تحت المجهر آلاف المرات، والجرثومة الواحدة منها مكونة من خلية واحدة، صغيرة جداً، وهي مبثوثة في الكون بأعداد هائلة، ليس بمقدور البشر حصرها. وهي مختلفة الأنواع والأشكال، فمنها ما يعيش على الفضلات من المواد العضوية، ومنها ما يتعايش مع المخلوقات الأكبر على مبدأ المنفعة المتبادلة، وبعضها يتطفلُ على غيره مسبباً له المرض...!(١)

هذه الجراثيم ... رغم صغرها، مؤهلة لأن تقوم بكل العمليات الحيوية، من تنفس وتمثيل للطعام والشراب والبناء والتكاثر، فقد تصبح الخلية الواحدة ملياراً خلال عشر

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، كتاب "عجائب الميكروبات السبع"، عمان – الأردن، ط٢: ٢٠٠٧م، ص: ٧ – ١١. ويشار إليه لاحقا ب "عجائب الميكروبات".

ساعات إذا توفر لها الطعام والشراب والبيئة المناسبة ...! وهي لا تعرف الهرم، بل تستمر بالنمو والانقسام دونما ملل أو كلل.

ومنها اللاهوائي الذي لا يستطيع الحياة بوجود الأكسجين، ومنها ما يستطيع العيش في البحر الميت رغم ملوحته العالية، ومنها ما يستطيع العيش في درجات حرارة عالية، فيتكاثر في درجة حرارة ١١٣مْ، ويموت برداً على درجة ٥٥مْ (٥٥ فوق الصفر)، ومنها ما يتكاثر في درجة حرارة ١٧مْ تحت الصفر.[١] فهي مخلوقات عجيبة الأطوار، مختلفة البيئات، متباينة المتطلبات، كل نوع هيأه الله تعالى ليعيش في ظروف مختلفة عن الآخر. وهذا سر وجودها في كل مكان، وقد وجدت في الأرض على عمق آلاف الأمتار، وفي الجو على ارتفاعات عالية جداً.

والميكروبات منها المتحرك بذاته، ومنها المحمول على غيره من المخلوقات الأخرى، أو على ذرات الهباء المتطايرة في الهواء، كما أن بعضها سريع الحركة، لدرجة يصعب اللحاق

---

(١) المرجع السابق، ص: ٤٥-٤٩.

بها، وهي تمر أمامك تحت المجهر، أشبه بحركة النجم إذا هوى (Star shooting) كجرثومة مرض الكوليرا.[1]

هذه الميكروبات المتباينة في الشكل والطول والعرض، متنوعة أيضاً في الإمكانات والقدرات، والمتطلبات الحياتية، فمنها ما هو بكتيري، ومنها ما هو فطري، أو خمائر أو طُفيليات، وأصغرها على الإطلاق هي الفيروسات. ومن عجائب قدرة الله تعالى، أن بعض هذه الفيروسات مفيد للإنسان، وذلك من خلال مقدرتها على تدمير بعض أنواع البكتيريا الضارة به!

كذلك فإن بعض هذه الميكروبات شديد الحساسية، يموت من الجفاف، أو من أشعة الشمس، أو من أي من المطهرات، ولو كانت بسيطة.[2] ومنها ما هو مقاوم لها، لا يتأثر بها، بل يستمر في نموه وتكاثره، مستعملاً المطهرات

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الدكتور عبد الحميد القضاة، كتاب الامراض الجنسية عقوبة إلهية، عمان – الأردن، جمعية العفاف الخيرية، ط٢: ٢٠٠٨م، ص: . ويشار إليه لاحقا ب «الأمراض الجنسية».

غذاءً له، ومنها ما يتكيس لسنين طويلة حتى تتهيأ له ظروف مناسبة، للعودة للنشاط والتكاثر.

وعلاوة على ما تقدم، فهذه العوالم، من الميكروبات الصغيرة، فيها من أسرار الذكورة والأنوثة ما يخلب الألباب. فالذكر تنمو عليه شعيرات، من بينها شعيرة طويلة اسمها شعيرة الجنس، وهي عبارة عن اسطوانة مجوفة، تنتصب عند الحاجة، لتدخل في مكان محدد من جسم الأنثى، وتنتقل من خلالها مادة وراثية معينة للأنثى ... لتصبح بعدها ذكراً وتنمو على جسمها الشعيرات الخاصة بالذكورة.[1] وغير ذلك الكثير، فسبحان من قال في محكم كتابه: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يس:٣٦).

وقد كان للدكتور القضاة وقفات عظيمة مع هذا العالم العجيب، يبُين خصائصه، وأنواعه، وتفاصيل حياته، وتوظيف ذلك في خدمة الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – على نحو مثير للدهشة والإعجاب، ومعمق للإيمان بالله في

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، عجائب الميكروبات، ص:٥١-٥٤.

النفس الإنسانية، ويمكن تناول بعض هذه المحطات التي توقف عندها الدكتور القضاة، من خلال العناوين الآتية:

المستودع الرئيسي للجراثيم

الأرض هي المستودع الأكبر للميكروبات؛ إذ إن الغرام الواحد من التراب يحتوي على عشرات الملايين منها. أما الرطب الذي يتوافر فيه الغذاء والظروف المثالية للنمو فيحتوي على المليارات.

وهذه الميكروبات، بالإضافة إلى عملها على تماسك ذرات التربة بعضها مع بعض؛ لها أهمية خاصة تتعلق بدورات العناصر الحيوية في الطبيعة، مثل النيتروجين، والكربون، والأوكسجين، والكبريت، والفسفور وغيرها. هذه العناصر المختلفة، خلقها الله – تبارك وتعالى – بتوازن بديع لا تستقيم الحياة بدونه، ونسب ثابتة لا تتغير ولا تتبدل. وجعل في الأرض مخلوقات دقيقة لا نراها، تقوم على خدمتنا؛ فتحافظ على هذا التوازن. وأودع في كل ميكروب منها مقدرة معينة، ووظيفة معيَّنة، وهداه لكيفية تنفيذها. فميكروبات

النيتروجين لا تتدخل بعمل ميكروبات الكربون، كل يقوم بواجبه حسب تخصصه، دون كلل أو ملل، وبصمت وهدوء، عبادة وتسبيحاً للواحد الأحد.

فسبحان الذي أوجد هذه المليارات من الميكروبات، وبثها في التربة، كلٌ له تخصص، يقوم بجزء من العمل ليكمله آخر، في تتابع دقيق لا يعلمه إلا الذي لا تخفى عليه خافية.

المستودعات المتحركة! [1]

يُعَدُّ كل مخلوق كبير، مرئي بالعين المجردة، مستودعاً متحركاً لأنواع عديدة من الميكروبات. ابتداء من الدودة الصغيرة إلى الفيل الكبير. هذه المستودعات المتحركة، تبث ميكروباتها بالمليارات، في كل مكان، من خلال لعابها أو بُرازها أو بولها أو بواسطة تنفسها... الخ، فهي تتلوث بميكروبات التربة، ثم تلوث الهواء والماء والتراب بجراثيمها المختلفة.

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، كتاب الميكروبات وكرامات الشهداء، عمان – الأردن، ٢٠١٣م، ص: ٣٠-٣٣. ويشار إليه لاحقا ب «الميكروبات وكرامات الشهداء».

فالإنسان مثلاً – أنظف هذه المخلوقات – يعيش على جلده أكثر من عشرين مليار جرثومة، تسرح وتمرح وتأكل وتشرب وتتكاثر دون أن يشعر...! ويأخذ مع كل نفس ما معدله ستين ألف جرثومة من الهواء، والعطسة الواحدة منه تنفث في الهواء أعداداً هائلة من الجراثيم. وكذلك للماء جراثيمه الخاصة والتي تسبب أحياناً بعض الكوارث الصحية، كالتيفوئيد، والكوليرا، والدزنتاريا، وغيرها الكثير.

يذكر الدكتور (كلقمان) المختص بالجراثيم، أن جلد الإنسان بما عليه من ميكروبات مختلفة، ولما فيها من تباين في الشكل والمتطلبات، وما بينها من العداوات والحروب، أو الصداقات والتعاون، أشبه ما يكون بالكرة الأرضية، وما عليها من مخلوقات كبيرة وصغيرة، وأمم مختلفة لوناً ولغة ومعيشة، وما بينها من اختلافات جغرافية وحروب ومعاهدات. أما فم الإنسان، فعلى سطح السن ما لا يقل عن مائتين وخمسين ملياراً من الميكروبات.

وما سبق من أرقام، تتضاءل أمام جراثيم الأمعاء، إذ يوجد في الغرام الواحد من براز الإنسان العادي، أكثر

من مائة مليار جرثومة...! وهي في معظمها (٩٦-٩٩٪) ميكروبات لا هوائية، وتشكل (٣٠٪) من وزن البراز عند الإنسان العادي. وهي تتعايش مع الإنسان ما دام حياً، ولا يحدث بينها وبين قوات جهاز المناعة إلا ما يشبه المناوشات البسيطة، لا تلبث أن يسيطر عليها وتهدأ، وفي غالب الأحيان يحصل تبادل منفعة كتقديم بعض الفيتامينات للإنسان مقابل الغذاء والإيواء. هذا مثال للإنسان، وهو المخلوق الأنظف ... فكيف بالحيوانات الأخرى، كالفيل والحصان والحمار والبقر...!

هذه المستودعات الفرعية، هي بحق مخازن جرثومية متحركة، تبث محتوياتها في كل مكان مع برازها وبولها ولعابها، بل ونَفَسِها دون أن تحس بها، بل دون أن نحس نحن البشر بها، رغم ما أعطانا الله من عقل وبصر وبصيرة، فالميكروبات - على صغرها - مخلوقات تحمل من أسرار الخالق، وعظمته، وقدرته، ما يأسر العقول، ويُحيِّر الألباب، فسبحان من خلقها، وبثها، وسخرها، لخدمة الإنسان.

آيـةٌ بل آيـاتٌ في الميكروبـــات![1]

البكتيريا الواحدة عالمٌ في خلية، كائنٌ من أهون مخلوقات الله، إن لم يكن أشدها ضعفاً وهواناً، لا تراه ولا تحس بوجوده، رغم أنه رفيقك منذ ولادتك، وسيبقى معك ما دام فيك عرق ينبض، شئت أم أبيت، فهو يسكن جلدك وجوفك، وقد اتخذ لـه فيك مقاماً آمناً، دون أن يستأذنك ودون أن يرسل لك ولو مجرد نسخة للعلم.

وبأسلوبه الجميل يستوقفنا الدكتور القضاة أمام هذه الحقيقة المفزعة قائلاً: مهلاً فليس من داعٍ للخوف والهلع؛ لقد مرت على البشرية عشرات آلاف السنين قبلك، وهم يتعايشون مع هذه الكائنات، دون أن يحسوا بها، أو يكتشفوها لدقتها وصغر حجمها، رغم أعدادها التي لا تُحصى، منتشرة فيهم وعليهم وحولهم. وهي لم تدخل قاموس المعرفة البشرية، إلا في القرن السابع عشر، عندما رآها العالم (لوفن هوك) بمجهره البدائي عام (١٦٦٧م).

ورغم أن البكتيريا من أصغر المخلوقات الحية المعروفة،

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، عجائب الميكروبات، بتصرف.

إلا أن فيها من الأسرار ما يبهر العقل ويأسره، فلا تملك حين ترى ذلك أو تسمعه، إلا أن تهتف من أعماقك بعفوية الفطرة السليمة «سبحانك ربي ما أعظمك!»

إذا وصفنا الواحدة منها بالكائن البسيط، فقد جاوزنا الحقيقة، رغم أنها خلية واحدة صغيرة بمقاييسنا، يبلغ متوسط قطرها جزءاً من المليون من المتر، وطولها ضعف ذلك[1]، لذا فهي ليست ضخمة الحجم، لكننا كلما أبحرنا فيها، وجدناها ضخمة بل ضخمة جداً، ومخلوقاً عظيماً انطوى على أسرار محيرة ... تهتف بعظمة الخالق المدبر!، وصدق الإمام علي كرم الله وجهه فيما ينسب إليه من قول:

دَوَاؤكَ فيكَ وما تَشْــعُرُ ... ودَاؤُكَ منـكَ ومـا تبصـرُ

وتَحْسَبُ أَنَّك جِرْمٌ صَغِيرٌ... وفيك انْطَوى العالَمُ الأَكْبَرُ

تتجلى قدرة الله في المخلوقات كلها، صغيرها وكبيرها، وكلما استطاع المخلوق الصغير، القيام بعمل ضخم، بدقة متناهية، وبأقل كلفة، وأصغر حيز، كلما تجلّت عظمة الخالق

---

(١) مثل بكتيريا الـ إيكولاي التي يبلغ قطرها واحد ميكرون وطولها اثنين ميكرون، والميكرون هو جزء من المليون جزء من المتر.

وقدرته بشكل أوضح وأكبر، وكلما شاهدت تحت عدسة المجهر أمة من هذه الأمم (غير المرئية)، كلما تملكتك الدهشة وأخذك العجب، حتى إذا رأيت أمة أخرى، قلت في نفسك: هذا أدق وأعظم. ويزداد عجبك، عندما تعلم أن الله سبحانه وتعالى قد خلق من الأمم غير المرئية أضعاف المرئي المشاهد. حتى إنَّه أقسم بها في كتابه العزيز بقولـه: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾(الحاقة:٣٨-٣٩)، فإذا كان ما نبصره عظيماً، فما لا نبصره أعظم. وإذا بلغت عجائب الدنيا سبعاً، فعددها في عالم الميكروبات أكثر وأعجب، وهكذا يزداد إيمانك بالله، وإجلالك لـه، عندما يتبين لك أن الله قد بعث في هذه المخلوقات الحياة بكل مقوماتها، وزودها بالقدرة على النماء والتكاثر، وأودع فيها من الأسرار والخواص، ما أهلها وهيأها لخدمة الإنسان، وتسبيح خالقها بلغتها الخاصة.

والميكروبات، من بكتيريا وفيروسات وفطريات وأنواع أخرى كثيرة، أقل شهرة، هي أساسية وضرورية للحياة، وموجودة في كل مكان عرفه الإنسان، تعيش في مستعمرات بأعداد هائلة، تصل إلى المليارات، تتكاثر بسرعة عجيبة،

فالرقم يتضاعف كل عشرين دقيقة، ولسرعة تكاثرها، وسهولة زراعتها، وقلة تكاليفها، استعملها الإنسان في كثير من التجارب المفيدة للبشرية. فما يحتاج إلى عشرات السنين لتجريبه على الإنسان، نستطيع عمله على البكتيريا خلال شهر من الزمان.

عرف العلماء منها عشرات الآلاف من العائلات المختلفة. هذه العائلات الجرثومية أشبه ما تكون بالعشائر عند البشر، مبثوثة في كل مكان، تأكل وتشرب وتسرح وتمرح، وتمضي حياتها بين سلم وحرب. كل عائلة لديها من الأسلحة البيولوجية ما يحميها من غيرها، ويحفظ عليها حياتها واستمرارها. ومن وسائل الدفاع عن نفسها، ما يُبهر العقول ويُحيرها؛ فما تفرزه عائلة ما كسلاح لحمايتها (مضاد حيوي)، تستطيع أن تقتل به عائلات أخرى دون أن يؤذيها ... وقد استفاد الإنسان من ذلك بأن عرف هذه الأسلحة، واستعملها أدوية للعلاج من الأمراض الجرثومية؛ وذلك منذ سنة (١٩٢٨م) حيث اكتشف العالم الإنجليزي «ألكسندر فلمنغ» أول مضاد حيوي، وهو البنسلين.

وجد العلماء أن (٣٪) فقط من الميكروبات مسؤولة عن الأمراض البشرية المعدية، وحوالي (١٠٪) منها ينتهز فرصة ضعف الإنسان لينقض عليه مسبباً لـه الأمراض، أما الغالبية الساحقة من الميكروبات (٨٧٪) فتعمل في خدمة الإنسان ليل نهار ...! وهي قادرة على العيش في أقسى الظروف الجوية والغذائية؛ فقد وجدت على عمق ثلاثة كيلومترات تحت الأرض، وعلى ارتفاع آلاف الأمتار في الفضاء. كما وُجدت متكيِّسة منذ ثلاثين مليون سنة، ثم أُعيد النشاط إليها من جديد.

يشكل الفرد منها على دقة حجمه، عالماً بالغ الدقة في نظامه ووظائفه، ... وتتجلى مقدرة خالقها في مقدرتها على العيش في الظروف والأحوال الصعبة، ... وفي صراعها من أجل البقاء، لأنها مخلوقات تحب الحياة كغيرها، ... وفي فنونها للدفاع عن نفسها، ... وفي شبابها الذي لا يشيب، ... وفي إنجازاتها العظيمة للبشرية، ... وفي أسرار الذكورة والأنوثة فيها، ... وفي طرق تعامل آكل البكتيريا معها (رغم أن كليهما ميكروب)، الذي سخره الله للبطش بها، وتدمير خلاياها بطرق مذهلة...

وبعد هذه الجولة السريعة يؤكد الدكتور القضاة أن:

«هذه بعض عجائب الميكروبات التي فيها من الإعجاز والعظمة ما يزيد المرء إيماناً على إيمانه ويقيناً على يقينه، هذه الظواهر أدهشتنا وأبهرتنا، وقادتنا إلى إمعان النظر، وإعمال الفكر فيها أكثر، حتى أوقفنا هذا أمام أنواع خاصةٍ من الجراثيم؛ أصبغت على دهشتنا مزيداً من الدهشة، وأضافت إلى انبهارنا وعجبنا مزيداً من الإيمان بالله، وعظمة قدرته وحكمته وكمال شريعته! إنها الجراثيم المسببة للأمراض المنقولة جنسياً والإيدز.[1]

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، الأمراض الجنسية، الفصل الرابع (ص: ١٥٣-١٨١) بتصرف.

ما هو الملفت في جراثيم الأمراض المنقولة جنسيا؟!

لقد كان للدكتور القضاة وقفات تلو وقفات مع هذه الجراثيم، المسببة للأمراض المنقولة جنسياً، تمعن في صفاتها وطبائعها ومتطلبات حياتها، أملاً في الوصول إلى أسرارها، وبيان حقيقتها الإعجازية، فكانت حصيلة هذا التدبر والإبحار في عالمها جملة من الخصائص التي بينها ووضحها وجعلها في الآتي:

أولاً: طبيعة هذه الجراثيم، وطرق انتقالها:

لهذه الجراثيم (جراثيم الأمراض المنقولة جنسياً) طبيعة خاصة بها، ميزتها عن غيرها من الجراثيم الأخرى؛ فهي لا تنتقل بالماء أو الهواء أو الطعام، لكنها تنتقل بالاحتكاك الجسدي المباشر، أو من خلال انتقال سوائل الجسم وإفرازاته. فهي لا تنتقل من خلال ممارسات الحياة العادية في الأماكن الخاصة أو العامة؛ ويؤكد الدكتور القضاة أنه لا يمكن أن تنتقل هذه الجراثيم من خلال برك السباحة، أو

الحمامات العامة، والتعامل المباشر بين عامة الناس، ولكنها تنتقل بشكل رئيسي من خلال الممارسات الجنسية المحرمة في كل الشرائع السماوية.[1]

كما أن هذه الجراثيم لا توجد في التربة كغيرها، فمستودعاتها الوحيدة هي أجساد المرضى والمصابين. ولا يمكن الحصول على عينات منها (من الطبيعة). فهي حساسة للجفاف، كما أنها حساسة للأشعة؛ فتعرضها لأشعة الشمس يقتلها ويقضي عليها. وبعضها لا هوائي، يموت مباشرة بعد خروجه من جسم الشخص المصاب وتعرضه للهواء، فالأكسجين سم قاتل بالنسبة لها. وبعض أنواعها يموت من الماء والصابون، ومن أبسط المطهرات.[2] فما السر بل الأسرار الكامنة وراء ضعفها وعدم تواجدها في الطبيعة وعدم انتقالها بالماء أو الهواء أو الطعام؟!

---

(١) المقابلة الخاصة.

(٢) الدكتور عبد الحميد القضاة، الأمراض الجنسية، ص ٥٦.

ثانياً: أمراض ناتجة عن الزنا والشذوذ:

ويؤكد الدكتور القضاة أن انتشار الأمراض المنقولة جنسياً عبر التاريخ ارتبط بتحلل الناسِ من القيمِ العُليا، وشيوع الجنس وتغير نظرتهم له. وما أشبه الليلة بالبارحة، فالحال التي يعيشها العالم اليوم من انتشار الفاحشة واستشرائها، وشيوع الجنس بصرعاته العجيبة من شذوذ وزنا وجنس فموي، أدت إلى تعقيد المشكلة وأصبحت عابرة للقارات. انتشرت الأمراض المنقولة جنسياً بشكل غير مسبوق، وفرضت نفسها على العالم، رغم تقدمه المادي المذهل: تهدد مصيره، وتُفسد عيشه، وتُصيبه في الصميم، وتنكبه في زهرة شبابه، تعكس آثارها على الفرد معاناة وتشوهاً وخسارة مادية، وعلى الدول اقتصادياً وأخلاقياً واجتماعياً.[1]

وفي هذا يقول الدكتور القضاة:[2] لقد ثبت لدي عملياً وتاريخياً، ومن خلال اطلاعي على الدراسات والإحصائيات

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، كتاب الإيدز حصاد الشذوذ، دار ابن قدامة للطباعة والنشر – بيروت، و دار النشر الطبية – لندن، ط٢: ١٩٨٦م، ص: ٦٥، ٩٠-٩٣.

(٢) المقابلة الخاصة.

العالمية، ومن خلال معرفتي العلمية والعملية، وخبرتي الطويلة في هذا المجال؛ ثبت لدي ارتباط انتقال هذه الجراثيم وانتشارها في العالم، بالسلوكيات الجنسية المحرمة من زنا وشذوذ وتعاطٍ للمخدرات. وهذه حقيقة ثابتة متكررة أصبحت من البدهيات. فهذه إحصائيات منظمة الصحة العالمية أكبر شاهد على ذلك، حيث نشرت في كشف الحقائق رقم ١١٠ لعام (٢٠١٣م)، أنه يُصاب في كل يوم أكثر من مليون إنسان بأحد الأمراض المنقولة جنسيا. وهذا بسبب شيوع السلوكيات والعلاقات الجنسية المنفلتة (الزنا والشذوذ والجنس الفموي وتعاطي المخدرات). كما تشير الدراسات إلى وجود علاقة طردية بين شيوع هذه السلوكيات ومعدلات انتشار الأمراض المنقولة جنسياً، فالمجتمعات الأكثر إباحية، تشهد انتشاراً أكثر لهذه الأمراض. والله سبحانه وتعالى قد أثبت في كتابه العزيز العواقب الوخيمة للعلاقات الجنسية المحرمة بقوله: «﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾(الإسراء:٣٢)، وهذا النوع من السلوكيات الجنسية محرم في كل الشرائع السماوية... فما سر هذا التحريم؟!.

ثالثاً: أمراض جديدة لم تكن في الأسلاف:

لقد تضاعفت أنواع هذه الأمراض خلال العقود القليلة الماضية وتعددت، حيث بلغت عشرة أضعاف ما كانت عليه. فمن خمسة أمراض كانت معروفة، إلى أن تجاوزت الخمسين مرضاً مسجلاً ومعروفاً ومثبتاً حتى الآن. والأمر مرشح للزيادة كلما جاء جيل جديد من البشر، يصر على استباحة المحرمات، وشيوع الفاحشة، والعمل فيها علانية؛ تحقيقاً لحديث الرسول ﷺ: «... ما ظهرت الفاحشة في قوم قط، يُعمل بها فيهم علانية، إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم...»[1] [2].

أما عن مدى انتشار هذه الأمراض، وتزايد أعداد المرضى والمصابين بها، فيحدثنا الدكتور القضاة قائلاً:[3]

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب التشديد على من منع زكاة ماله، ج: ٣، ص: ١٩٧، الحديث رقم: ٣٣١٥. أبو بكر محمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١: ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ٧ أجزاء.

(٢) الدكتور عبد الحميد القضاة، الأمراض الجنسية، ص: ٣٥، ١٧٤.

(٣) المقابلة الخاصة.

بالرغم من تقدم العلوم الطبية، في مختلف مجالاتها ومستوياتها الوقائية والعلاجية، وبالرغم من سهولة علاج الكثير من هذه الأمراض؛ إلا أن انتشارها وزيادة أعداد المرضى والمصابين بها في تنامٍ وتصاعد خطير، فهناك ٤٩٩ مليون إصابة جديدة بالأمراضِ المنقولة جنسياً في عام (٢٠١٣م) فقط، حسبما أفادت به إحصائيات منظمة الصحة العالمية.

رابعاً: هذه الجراثيم لا تُسبب أمراضاً جنسية للبهائم:

يرى الدكتور القضاة أن من أعجب ما تميزت به هذه الجراثيم؛ أنها لا تُصيب البهائم، ولا تُسبب لها أمراضاً جنسية، فهي لا تصيب إلاّ الإنسان، وليس أي إنسان؛ إنه الزاني أو الشاذ! أما من ابتعد عن المحرمات فهو معفي منها؛ لأن الله منعها من أن تنتقل إليه بالماء أو الهواء أو الطعام.

ويضيف أيضاً: إن البهائم معفاة منها؛ رغم ما عندها من شيوع جنسي، ورغم التشابه أو التطابق بين الإنسان والحيوان من حيث درجة الحرارة والمكونات الغذائية والظروف البيئية. ومع كل هذا فجراثيم الأمراض المنقولة جنسياً لا

تنمو عليها، ولا تصيبها بأي مرض جنسي! فمن الذي أعلم الجرثومة بأن هذا بهيم وهذا إنسانٌ مقترفٌ للحرام؟ يُعفى الأول ويُعاقب الثاني! وهذا يجعلنا نقف مذهولين لنتساءل عن السبب! هل هذه الجراثيم مرسلةٌ للإنسان خصيصاً؟ وبالتالي فهل هي عقوبة الزنا والشذوذ؟ "وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ." (المدثر:٣١).

أما الذي يميز الإنسان عن الحيوان في نظر الدكتور القضاة، هو أن الإنسان مخلوقٌ مكلف مميِّز، وبالتالي مختارٌ لأفعاله محاسبٌ عليها، وهذا يستوجب العقوبة على المخالفة، والمكافأة على الطاعة والالتزام. أما الحيوانات فمخلوقات مسيرة غير مكلفة ولا مختارة لأفعالها، وبالتالي فهي غير محاسبة ولا معاقبة على ما يصدر منها من أفعال وتصرفات. فلم يعطها الله عقلاً ولم يرسل لها رسلاً ولم ينزّل لها كتباً كما فعل للإنسان، وبالتالي فمن كمال عدله، إعفاؤها ومعاقبة الإنسان![1]

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، الامراض الجنسية، ص: ١٥٤-١٥٥.

وبما أن العقل مناط التكليف؛ فكأنما أعفى الله سبحانه الحيوانات من العقوبة، فلا تُصاب بالأمراض المنقولة جنسياً رغم نزعتها الجنسية الحادة، في حين اكتوى بنارها الإنسان الذي فضله الله على الحيوان بالعقل، وكرمه بالتكليف، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الاسراء:٧٠).

كما أن صعوبة الحصول على هذه الجراثيم، وصعوبة شروط انتقالها، وسهولة الوقاية منها، وسهولة علاج الكثير منها، كلها محددات لانتشارها، فلا يكاد يقع فيها بريء، ويكاد ينجو منها ويشفى كل تائب. فباب العلاج والتعافي منها مفتوح – كما هو باب التوبة – خصوصاً في البدايات (مع عدم إصرار على المعصية)؛ كلها عوامل مؤيدة لفكرة أن هذه الجراثيم عقوبة للزناة.

خامساً: الشذوذ ...أصل البلاء وأساسه![1]

"قوم لوط" اسم يندى له جبين البشرية، تفوَّق على غيره من أسماء الأقوام السابقة بالطغيان والعصيان، والكفر والفجور؛ فوقع عليهم من العذاب – انتقاماً من الله – ما لم يقع على غيرهم من الأمم التي أُخذت بذنوبها. وكان جرمهم الأكبر هو أنهم خرجوا عن الفطرة، وتمادوا في الفحش والمنكر، حتى ابتدعوا ممارسة الجنس بين الذكور، وكانوا أول من فعل ذلك؛ قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾(الأعراف:٨٠-٨١) فكانت النتيجة وبالاً عليهم بما كسبت أيديهم، يقول تعالى عن عذابهم: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(هود:٨٢-٨٣) فصاروا (قوم

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، كتاب قوم لوط في ثوب جديد، من مطبوعات جمعية العفاف الخيرية، عمان – الأردن، ط١: ٢٠٠٧م، ملخص لعدة فصول متفرقة.

لوط) رمزاً للسبق للمنكر والفحش والخروج على الفطرة والتمادي إلى درجة المجاهرة والابتكار.

لقد كانت قضية الانفلات الجنسي – عبر التاريخ – مفتاح سقوط امبراطوريات واندثار حضارات، ودمار مجتمعات. فقد سبق أن عصفت بالحضارة الإغريقية (اليونانية) القديمة، التي بدأت فتية قوية جادة، حتى بلغت قمة المجد، وتبوأت مقعداً متقدماً في سلم التقدم المادي. ولكنها أوغلت في المادية دونما ضوابط؛ فقادها ذلك إلى انتشار الفاحشة والشذوذ (اللواط)، وشاع حتى أصبح الفجور لهم دينا وخُلقاً، فحاقت بهم سنة الله التي لا تتخلف، واندثرت حضارتهم. أما الحضارات الرومانية والبابلية وغيرهما من الحضارات السابقة، فلم تكن أفضل حالاً. إذ بقيت تلك الحضارات صامدة، حتى انتشر فيها الزنا والشذوذ الجنسي انتشار النار في الهشيم؛ فعصفت بهم رياح السنن الكونية في التغير، فذهبت حضارتهم أدراج الرياح، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب:٦٢).

أما حضارة القرن الواحد والعشرين، فرغم التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل، إلا أنها جاءتنا بقوم لوط يرتدون زياً جديداً، جمعت كل العيوب الأخلاقية التي كانت سبباً في اندثار الحضارات السابقة، وخاصة فيما يتعلق بالانهيار الأخلاقي لضوابط العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى، وعولمة الرذيلة المتمثلة بالزنا والشذوذ الجنسي بصنوفه. وإقرار الزواج المثلي بين الشاذين وبين السحاقيات، وملاحقة كل من يتعرض لهم قانونياً، ومحاصرة الفضيلة بكل أشكالها.

وزاد الطينَ بِلَّةً ما تنفثه بعض الفضائيات، وما يختزنه الإنترنت للشباب من عجائبَ وممارسات جنسية لا تخطر على بال، حتى غدت تجارة الجنس، التجارة الأولى عالمياً من حيث الربح والانتشار؛ (٢٨٠ مليون صورة وفلم إباحي موجود على الإنترنت) فشاع الزنا ونكاح المحارم والشذوذ والمجون بلا قيود ولا حدود. وغدا الجنس لعبة لكل مزاج منحرف، وذوق مريض، فضلاً عن انفلاته من كل عرف أو تقليد. واستفحل الأمر فأصبحت السمة المميزة للمجتمعات البشرية في أنحاء الأرض؛ انتشار اللواط والسحاق والممارسات

الجماعية للجنس، والزواج التجريبي، أو الحب السابق للزواج، ونوادي الشذوذ والعراة، وعلب الليل والمجلات الماجنة، والأفلام الجنسية الهابطة، والصور الخليعة.

وكل ذلك جاء حصيلة أوضاع، وقيم عقائدية وفكرية، ونظريات وضعية؛ مخطط لها. لا يمنعها عندهم قانون أو عُرف أو دين؛ بل محمي بقوة القوانين الدولية لحقوق الإنسان. والعمل على إيجاد قوانين ومواثيق عالمية تطمس ضوابط الدين التي شرعها الله لتنظيم وتصريف الغريزة الجنسية عند الإنسان. وعولمتها وتمريرها من خلال المؤتمرات الدولية تحت عناوين جاذبة، تحتمل أكثر من تفسير لامتصاص أي ردة فعل، لكنها تستبطن معانٍ هدامة للأعراف والتعاليم الدينية التي تؤمن بها الشعوب، تنتهي إلى عولمة الرذيلة والتحلل من كل قيد أو مُنظّم للممارسات الجنسية.

نعم ... هؤلاء هم قوم لوط، الذين يسعون إلى الدمار والاندثار بأرجلهم، ويعملون على أن تتبعهم البشرية جمعاء. يتزيّون بزي الحضارة، والحريات الشخصية، والقوانين الدولية، ويتدثرون دثار العولمة والانفتاح، والتقدم والتحرر؛

هم قوم لوط القرن الحادي والعشرين؛ هذا ثوبهم وذلك دثارهم: شرّعوا من قوانين الشذوذ، وحماية المثليين، ما لم يسبقهم إليه أحد من العالمين ...!!

وقد ثبت علمياً وإحصائياً وعملياً أن الشذوذ الجنسي وممارساته المختلفة تنقل وتنشر الأمراض المنقولة جنسياً بسرعة صاروخية إذا ما قورنت بغيرها من الممارسات. وقد أعلن رئيس الصحة العامة في بريطانيا البرفسور كيفن فنتن، في المؤتمر الذي عُقد في لندن نهاية عام (٢٠١٣م)، بأن العالم يواجه كارثة عالمية سببها الشاذون جنسياً، لأن الإصابات بالأمراض المنقولة جنسياً بينهم هي ثمانية أضعاف الإصابات بين الأفراد العاديين في الدول الفقيرة وهي ثلاثةٌ وعشرون ضعفاً في الدول الغنية، وأعلى نسبة في الإصابات بين الشاذين في الدول الغنية هي في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن الجنس الشرجي (الشذوذ) ينقل الأيدز ثمانية عشر ضعفاً زيادة على الجنس المهبلي... إذن تحريم الشذوذ وعقوبة قوم لوط وراءها سر عظيم لخدمة البشرية ومصلحتها.

سادساً: أكذوبة جين الشذوذ[1]

إن الباحث المتتبع يجد بسهولة أن اليهود هم وراء صناعة الأفلام الإباحية ووضعها على الإنترنت، وهم كذلك وراء مجلات الخلاعة والعُري (بلاي بوي)، وكذلك تجارة الجنس عموماً ونشر الشذوذ الجنسي وترويجه، إفساداً للشباب وتدميراً لأخلاقهم، فقد سبق وأعلنوا في برتوكولاتهم بقولهم: "يجب أن نعملَ لتنهارَ الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا... إنَّ فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس؛ كي لا يبقى في نظر الشباب شيءٌ مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرضاء غرائزه الجنسية... وعندئذ تنهار أخلاقه" أما فرويد فكان صريحاً واضحاً عندما أعلن: "أن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسي ... وكل قيد من دين أو أخلاق أو تقاليد هو قيد باطل، وهو كبت غير مشروع."

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، كتاب نيران الإيدز تحرق شباب العالم، فمن المسئول؟، من مطبوعات جمعية العفاف الخيرية، عمات – الأردن، ط٤: ٢٠٠٩م، ص: ٢٩-٣٣.

ويضيف الدكتور القضاة أنهم: لم يكتفوا بما سبق ولكنهم روجوا حديثاً لفرضية تعتبر الشذوذ أمراً وراثياً، ولا خيار فيه للإنسان، فالشاذ يُخلق هكذا. وبالتالي يجب تقبله كما هو، حيث لا ذنب له يُحاسب عليه في هذا الموضوع، ولا حيلة له ولا لأحد في الأمر. وليس من ضرورة أصلاً للتدخل في الأمر فهو طبيعي هكذا ولا غضاضة فيه. وهذه الأفكار نبعت من جعبة بعض اليهود الذين ادعوا بأنهم اكتشفوا وجود جين وراثي لدى الشاذ مسئول عن شذوذه. وبهذا أرادوا أن يشجعوا الشذوذ والشاذين ليتقبلهم المجتمع، ويُشفق على حالهم ما دام الأمر وراثياً، وفي نفس الوقت للتشكيك بما جاء في القرآن الكريم من تحريم للشذوذ، على مبدأ "وُلدت شاذاً فلماذا أُعاقب...!" وقد أجريت أبحاث علمية خاصة في أستراليا، كشفت زيف هذا الادعاء وبطلانه. ونشرت مجلة بوستن العالمية تحت عنوان (تلاشي نظرية جين الشذوذ) في عام (١٩٩٩م)؛ أنه لا أحد من العلماء، وأصحاب الأبحاث المتخصصة، يقول إن الشذوذ وراثة وسببه جين وراثي. وحفل المقال بآراء مجموعة من أهل الاختصاص الذين

يفندون نظرية جين الشذوذ، ويلقون باللائمة على الإعلام الذي شوه الحقائق، ودلَّس على الناس بنشر كلام غير علمي.

وبهذا تكون نظرية الشذوذ الوراثي (جين الشذوذ)، قد أبطلها العلم بالدليل والإثبات، في مختلف أنحاء العالم. علماً أن الذين روجوا لهذه النظرية كانوا يهدفون إلى إيجاد جو من التعاطف مع هؤلاء الشاذين، والتشكيك واللمز في الإسلام الذي يقضي بمعاقبة هؤلاء؛ بينما هم أبرياء وُلدوا بهذه الصفة وليس لهم يد بذلك أو ذنب، فلِمَ يعاقبون ويقام عليهم الحد؟

سابعاً: تخلي جهاز المناعة عن صاحبه:

وهذا ما أشار إليه الدكتور القضاة بقوله: إذا أصيب الإنسان بمرض جرثومي عادي كالحصبة أو الجدري مثلاً، وقُدر له الشفاء، تتكون في جسمه مضادات طبيعية خاصة (Antibodies) ضد الجراثيم المسببة لهذا المرض، تساعد في شفائه، ثم تحميه من إمكانية أن يُصاب بنفس المرض ثانية. أما في حالة الأمراض المنقولة جنسياً (كما هو الحال في مرضي السفلس والسيلان والإيدز)، فجهاز المناعة لا يُكوِّن

مثل هذه الأجسام المضادة للحماية من المرض نفسه، وبالتالي يمكن أن يُصاب الزاني أو الشاذ مرة تلو المرة، فهو ليس محمياً منها مستقبلاً. وكأنما جهاز المناعة في جسم الإنسان يتخلى عن صاحبه؛ عقوبة له على ما يقترف.

وهنا يتساءل الدكتور: من الذي جعل جهاز المناعة لا يتعاون مع صاحبه، رغم أنه كغيره من أجهزة الجسم لا يسمع ولا يرى ولا يعقل...؟ ومن منظورنا الإسلامي نرى أن الله تبارك وتعالى قد خلق جهاز المناعة ليحمي صاحبه من الأمراض العادية التي لا ذنب له بها، أمّا الأمراض الإرادية الناجمة عن اقترافه المحرمات بمحض اختياره فجهاز المناعة غير معني بها.[1]

ثامناً: جراثيم جادة وتعمل بصمت:

يؤكد الدكتور القضاة أن الله سبحانه وتعالى قد أودع هذا النوع من الجراثيم التي تسبب الأمراض المنقولة جنسياً من

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، الأمراض الجنسية، ص: ١٥٣-١٥٤.

الصفات ما يُميزها عن غيرها من جراثيم الأمراض المعدية الأخرى، فهي رغم اختلافها عن بعضها؛ حيث لا يوجد بينها أي شبه – لا في الشكل ولا في الحياة المعيشية، فهذا بكتيري وذاك فيروسي أو غيره – إلاّ أنها متشابهة في طرق انتقالها أي بالاتصال الجنسي غير الشرعي. كما تميزت الأمراض الناتجة عنها بصفات تجعلها بحق عقوبة قاسية تُهلك الأفراد والجماعات على حدٍ سواء. بل تدمر الحضارات وتأتي عليها.

إضافة إلى ذلك، فإن الصفات التي تتميز بها جراثيم الأمراض المنقولة جنسياً عن جراثيم الأمراض المعدية الأخرى، والتي تجعل منها عقوبة مؤذية لكل من تنكب الطريق، وأصر على غيه وتنكر لأوامر ربه، فهي جراثيم لا تُصيب إلاّ الإنسان، ولا تعيش بشكل عام إلاّ فيه وعليه، وتموت بعد خروجها منه. وبعضها بارع في اختراق خطوط الدفاع فيه.

ويضرب الدكتور لذلك مثلاً بالجلد، الذي هو من الخطوط الدفاعية للجسم ضد الجراثيم، وهو السور الذي يمنع دخولها، والجهاز المناعي الذي يتعرف على الأجسام الغريبة عن الجسم (الدخلاء)، فيقوم بالتخلص منها، لكننا

نجد أن بعض جراثيم الأمراض المنقولة جنسياً (مثل جرثومة الزهري) تتمتع - بسبب شكلها اللولبي ورأسها المدبب (كالبرغي) - بالقدرة على اختراق جلد الأعضاء الجنسية وجلد الشفاه (خط الدفاع الأول). أما الخط الدفاعي الثاني فتتحايل عليه بتغطية نفسها بمواد من جسم المصاب، فتظهر لجهاز المناعة على أنها جزء من الجسم وليست عنصراً دخيلاً؛ فتمارس كافة نشاطاتها مسببة المرض للإنسان دونما أدنى مضايقات.[1]

تاسعاً: جراثيم تتحدى العلماء:

مع تقدم الطب والعلم والتكنولوجيا، أمكن معرفة الكثير عن الجراثيم التي تسبب أغلب الأمراض المعدية؛ إذ أمكن عزلها وزراعتها صناعياً في المختبرات، ودراستها دراسة دقيقة فيما يتعلق بصفاتها وتكاثرها ودورتها الحياتية والظروف التي تساعد على تكاثرها، وتأثير الأدوية عليها كماً ونوعاً إلى غير ذلك.

---

(١) المرجع السابق، ص: ١٥٧-١٥٨.

أما جراثيم الأمراض المنقولة جنسياً كجرثومة الزهري مثلاً، فقد استعصت على الزراعة والدراسة، وبالتالي لا يُعرف عنها إلاّ النزر اليسير. وكذلك فيروس الثآليل الجنسية وفيروس الإيدز وبعض ذريات جرثومة السيلان التي تقاوم جميع الأدوية المعروفة لدى العلماء، فبعضها مقاوم والآخر لا علاج له؛ هذا الغموض الذي يلفها يجعل منها معضلة إنسانية معقدة تتضاعف مع الإباحية والفوضى الجنسية. فهي جندي من جنود الله يعاقب به من أساء صنعاً.[1] ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر:٣١).

وقد استطاع العلماء إعداد مطاعيم[2](Vaccines) محصنة ضد أغلب الأمراض الجرثومية المعدية؛ تساعد الإنسان على سرعة الشفاء منها، وذلك بتقوية الدفاعات الطبيعية في جسم الإنسان، كتلك المطاعيم التي تستخدم ضد الدفتيريا والسعال

---

(١) المرجع السابق، ص: ٥٦، ٧٥.

(٢) المطاعيم: هي جراثيم المرض المقتولة أو الحية أو بعض سمومها المخففة بحيث لا تستطيع إصابة الإنسان بالمرض، ولكن وجودها في الجسم ينبه ويدرب أجهزة الدفاعات الطبيعية الموجودة فيه، لتصبح قادرة على صد أي تدخل لجراثيم المرض بالسرعة الممكنة.

الديكي والسل وشلل الأطفال والجدري والحصبة وغيرها.

أما في الأمراض المنقولة جنسياً فيؤكد الدكتور القضاة أن الوضع مختلف تماماً، فجراثيمها لم يستطع الطب تحضير مطاعيم وأمصال واقية منها، وكلما حاول العلماء ذلك باءت تجاربهم بالفشل الذريع.

عاشراً: جراثيم تعذب ثم تقتل:

العقوبات البدنية التي تحيق بالإنسان وتقتله فوراً، هي أقل تعذيباً لنفسه من تلك التي تذيقه مر العذاب قبل أن تقتله، ويؤكد الدكتور القضاة أن جراثيم الأمراض المنقولة جنسياً هي من هذا النوع، فهي بآلامها وعذابها لجسم المصاب قبل أن تؤدي إلى موته تكون قد قتلته ببطء ألف مرة، وهي بشكل عام توصف بأنها معذبة أكثر منها قاتلة، فعندما يصاب الإنسان بها لا تظهر عليه علامات المرض فوراً ليستدرك الخطر، إضافة لتردده في مراجعة الطبيب، وبالتالي لا يشعر بالمرض إلاّ بعد فوات الأوان، وفي أطوار متأخرة، ربما يصعب الشفاء منها. وقد يتناوب المرض بين الظهور

والاختفاء لعدة مرات، فيظن المصاب في كل اختفاء لها أنه قد شفي، ليصاب بخيبة أمل جديدة إذا ما عاوده المرض من جديد. وقد يستمر هذا التناوب وتتجدد معه خيبات الأمل ردحاً من الزمن، يستغرق عمر المريض ليبقى معلقاً، فلا هو طريح الفراش، ولا هو بالسليم المعافى.[1]

أحد عشر: جراثيم تستهدف الشباب:

يؤكد الدكتور القضاة أن الأمراض المعدية غير الجنسية تصيب الإنسان في أي مرحلة من مراحل حياته، أما الأمراض الجنسية فلا تصيب في الأعم الأغلب إلاّ من كانوا في سن البلوغ فصاعدا؛ لأنها لا تنتقل إلاّ بواسطة الاتصال الجنسي وبالذات غير المشروع، وبما أن الشباب في مرحلة الفتوة هم الأنشط جنسياً، وهم الأكثر اقترافاً له، وهم الأقل تحسباً للعواقب الوخيمة، وبالتالي فهم الضحية الأكبر لهذه الأمراض، فإذا علمنا من تقرير منظمة الصحة العالمية لعام (٢٠١٣م)، إصابة أكثر من ٥٠٠ مليون إنسان جديد بهذه

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، الأمراض الجنسية، ص: ١٦٥.

الأمراض في نفس السنة، أغلبهم في مقتبل العمر (أعمارهم بين ١٥ – ٢٥ سنة)؛ تصورنا الأعداد الهائلة من الشبان والشابات الذين يعانون من مصيبة الأمراض المنقولة جنسياً، وبالتالي تصورنا حجم نكبة المجتمعات بهم، وما تعانيه الأمم من التبعات الطبية والاقتصادية لهذه الأمراض.[١]

اثنا عشر: جراثيم وأمراض لا تُشكى ولا تُبكى[٢]

من خبرته الواسعة في هذا المجال يؤكد الدكتور القضاة أن كثيراً ما تبقى الإصابة بهذا النوع من الأمراض بلا علاج، وسراً تنطوي عليه نفس المريض؛ وجرحاً غائراً في أعماقه؛ وذلك لخصوصيتها وحساسيتها العالية، فتراه حائراً قلقاً لا يريد أن يفتضح أمره، حتى لا يعرض عنه الخلان والخليلات، أو حرجا بسبب بقية باقية من حياء لديه. وهكذا يصبح هذا السر مع الزمن ناراً تحرقه صباح مساء، وقنبلة تحطمه من الداخل، وتستمر معاناته إلى أن تظهر عليه بصمات المرض

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة، نيران الإيدز، ص: ١٩.
(٢) الدكتور عبد الحميد القضاة، الأمراض الجنسية، ص: ١٦٧-١٦٩.

في أكثر من موقع في جسمه، بالإضافة إلى انعكاس هذه المعاناة على تصرفاته الاجتماعية بشكل عام، وعلى ذاته بشكل خاص، فيصبح ممن يحسبون كل صيحة عليهم: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٨١).

حتى في المجتمعات الغربية التي تبيح الجنس دون قيد أو شرط، وتنتشر فيها العيادات الخاصة لهذه الأمراض بكثرة، ورغم أن المعالجة سرية جداً ومجانية؛ إلاّ أن هناك نسبة كبيرة من المرضى لا يحبون مراجعة الطبيب. ويلجأون إلى الخمر والمخدرات للهروب من واقعهم، ظانين أنهم يخففون عن أنفسهم عبء المعاناة؛ فلا يزيدهم ذلك إلا غماً على غمّ، ويصيرون كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وربما شوهت هذه الجراثيم الصورة الكريمة التي خلق الله الإنسان عليها، وتمنن على عباده بها، فتمسخ وتتشوه كلياً نتيجة الإصابة ببعض هذه الأمراض. فمرض الزهري مع غيره مثلاً يؤدي أحياناً إلى تآكل الأعضاء الجنسية وانتهائها، أو تشويه هيئة الإنسان كلياً، حتى تتغير كل ملامحه وخاصة

الوجه، وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: «لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكسفن[1] الله وجوهكم.»[2]

ثلاثة عشر: صرعات جنسية وجراثيم جديدة:

يرى الدكتور القضاة أن الصرعات الجنسية والتفنن في عالم الجنس رافق التقدم العلمي في الغرب، فثمة صرعات وممارسات لم تكن تخطر على بال بشر، تتنافى وأبسط قواعد الذوق السليم، كاستعمال الفم بدل الفرج، واللسان بدل القضيب في الجنس، وتدريب بعض الحيوانات على ممارسة الجنس مع النساء وغيره الكثير.

مما كان سبباً في جلب المزيد من الجراثيم الممرضة، وبالتالي ظهور أمراض جديدة، ويؤكد الدكتور القضاة أن

---

(١) الكسف هنا معناه طمس وتغيير معالم الوجه كما يذكر راوي الحديث.

(٢) رواه الطبراني. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، كتاب النكاح وما يتعلق به، ج: ٣، ص: ٢٥، حديث رقم: ٢٩٣٣. عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤١٧هـ. ت: إبراهيم شمس الدين، ٤ أجزاء.

الشذوذ عن الفطرة السليمة أدى إلى ظهور وانتشار أمراض جديدة، لم تكن معروفة من قبل، أمراض معقدة وخطيرة، حار فيها وفي علاجها جهابذة الأطباء، تنذر بالويلات وسوء الخاتمة؛ إذا لم يتداركها منهاج رباني يعيد إلى البشرية صوابها، ويؤكد فيها على إنسانية الإنسان.[1] وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «إذا استحلت أمتي خمساً فعليهم الدمار، إذا ظهر التلاعن، وشربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتخذوا القينات، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء.»[2]

لقد أدت المنهجية الغربية المغلوطة في التعامل مع الجنس، إلى اعتقاد الشباب أن الإصابة بمرض السيلان لا تؤثر في الإنسان أكثر مما يؤثر فيه الزكام، لذا لا داعي للخوف منه، ولا يستحق أن يحرم الإنسان نفسه اللذة والمتعة الجنسية

---

(١) الدكتور عبد الحميد القضاة وآخرون، بحث «الجنس الفموي والسرطان»، لم تنشر بعد.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها، ج: ٤، ص: ٣٧٧، الحديث رقم: ٥٤٦٩. أبو بكر محمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١: ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ٧ أجزاء.

لأجله. فأدى ذلك إلى فوضى جنسية عارمة؛ ليفاجأوا بانتشار هذه الأمراض فيهم انتشار النار بالهشيم، وأنها ليست مجرد زكامٍ كما زعموا، بل أمراضٌ خطيرة تقتل وتشوه وتجهض وتؤدي إلى العقم وتُثقل كاهل الاقتصاد.

فإذا كان الناس يشكون كثرة الضرائب المفروضة عليهم، فإنهم وبما كسبت أيديهم يضيفون ضريبة أخرى باهظة إلى قائمة المطلوبات، حيث يُنفق العالم سنوياً أكثر من ١٥٠ مليار دولار، لمكافحة وعلاج المصابين بجراثيم الأمراض المنقولة جنسياً ورعايتهم، ولدعم الأبحاث العلمية وعقد المؤتمرات المتعلقة بالموضوع. وهذا يعني المزيد من العبء على ميزانيات الدول، وبالتالي المزيد من الضرائب على المواطن. هذا بالإضافة إلى الضرائب التي تدفعها الأمم بأغلى عملة وهي صحة شبابها، وتدفعها الأسر تفككاً وانحلالاً، ويدفعها الأفراد آلاماً جسمية وعذاباتٍ نفسيةً. كل هذه الضرائب الفادحة؛ تدفعها البشرية لمخالفتها الفطرة.

لذا فالأمراض المنقولة جنسياً ليست وحدها في ميدان الضرائب والعقوبات التي تعاني منها هذه المجتمعات، بل

هي حلقة في سلسلة طويلة أُعدت للذين عطلوا عقولهم، واتبعوا شهواتهم، وأعرضوا عن ذكر الله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦).

من رحم علم الجراثيم ...
وُلد المشروع العلمي الدعوي

عن قصة مشروع وقاية الشباب، وكيف بدأ؟ وما هو الدافع الذي جعل هذا المشروع يرى النور؟ يفصح عنه مؤسس المشروع الدكتور عبد الحميد القضاة فيقول: "لقد حدا بي عظمة ما شاهدته في عالم الجراثيم عامة، وما علمته وخبرته، من خصائص وسلوكيات جراثيم الأمراض المنقولة جنسياً خاصة، وأثرها على حياة الإنسان وصحته، ثم ما استقر في أعماقي من شعور بعظمة الخالق وقدرته، وبلوغ حكمته وكمال شرعه، حتى تجذر هذا الإيمان في قلبي، وألقى بظلاله على سلوكي في واقع الحياة. كل ذلك حدا بي إلى نقل هذه المعرفة، وما أحدثته من آثار عظيمة إلى الآخرين؛ لتكون لهم العظة والعبرة بقدرة الله في أدق مخلوقاته التي يسلطها على التاركين لهديه، المخالفين لأمره."[1] وقد دأب الدكتور عبد الحميد

(١) المقابلة الخاصة.

القضاة على إعطاء المحاضرات والدروس التوعوية في المساجد والمدارس والجامعات، والأندية العامة والمراكز الشبابية، ودور تحفيظ القرآن الكريم؛ لوقاية الشباب من هذه الأمراض، من خلال التزامهم الشرعي، وبعدهم عن اقتراف المحرمات. تابع جهده هذا من غير كلل ولا ملل، ولم يترك داخل الأردن أرض حضر ولا مدر أو وبر، دُعي إليه ليلقي شيئاً من هذه المحاضرات، إلا لبى الدعوة مهما بلغت الشُقة، دافعه إلى ذلك ما أشار إليه في حديثه السابق. كيف لا وهو الداعية العالِم الذي سكنه حبُّ الخير للناس، وهَمُّ تبليغهم ما فتح الله عليه به من خلال تخصصه في علم الجراثيم، من آيات كونية عظيمة، رتلتها أصغر المخلوقات الحية التي عرفها الإنسان.

لقد لفت هذا العالِم الداعية خلال مسيرته هذه، في الدعوة إلى الله على علم وبصيرة؛ اهتمام الناس فانجذبوا لهذا النوع من المحاضرات، ولهذا الأسلوب من الطرح الذي يضفي على المعلومة العلمية لمساتٍ ايمانية وأجواءً روحانية. وقد تفاجأ من خلال التغذية الراجعة بمدى وحجم الدور الذي تؤديه هذه المحاضرات، في توجيه الشباب، وما لها

من دور في محاربة موجة الإلحاد والإفساد التي تجتاح البلاد وتستشري في العباد. وبحكم اطِّلاعه على جوانب المخططات الرهيبة التي تحاك لإفساد الجيل، وخصوصا التركيز على الشباب في الدول المحيطة بالمسجد الأقصى، واعتمادهم لعقيدة "الجنس والانحلال عناصر الحرب القادمة" ...، وبحكم ريادة الدكتور القضاة في هذا التخصص العلمي – والرائد لا يكذب أهله – ...

لهذا كله كان هذا المشروع العلمي الطبي الدعوي؛ لوقاية الشباب من هذا الخطر الداهم.

لقد انشغل الدكتور القضاة كثيراً بهمّ الشباب، وحبه لهم، وحرصه على صلاحهم دنيا وديناً، وخوفه الشديد عليهم من موجات الإفساد، واستعداده لتجشم كل عناء، وتحدي كل صعب؛ للوقوف في وجه الحرب المعلنة، التي يشنها عليهم أهل الفساد والإفساد، ويستهدفهم بها أعداء البشرية؛ ليعطلوا دور الشباب في نهوضها، ويبقون مسيطرين على العالم، يعبثون به كيف يشاؤون. وليس من المستغرب على مثل هذا العَلم في الدعوة والعِلم، أن تكتنفه كل هذه

المشاعر تجاه الشباب؛ فهو أب لثمانية منهم، يرى فيهم شباب الأمة ويراهم في شبابها، فكل الشباب هم أبناؤه وأحباؤه.

في ضوء ذلك كله: من حب الناس لهذا النوع من المحاضرات، وانجذابهم لها، وحبه للشباب وإشفاقه عليهم، وإنقاذاً لهم قبل الانزلاق في مهاوي الرذيلة، واستشعاراً منه لأمانة المسؤولية تجاه الأمة؛ بل الإنسانية وما يُراد بها من شر؛ خرج بهذا المشروع الذي يُحصّن الشباب من الضياع في غياهب الجنس الحرام، ويقي الأمة من ويلات الفحش والإباحية ودمارها.

مشروع وقاية الشباب من الأمراض المنقولة جنسياً والإيدز

وهكذا، من رحم عِلْم الجراثيم، وما بث الله سبحانه فيه من آيات، ومما رآه من معاناة المجتمع الإنساني وشبابه، ومن حرص العالِم الداعية، واستجلابه الخير للناس وحبه لهم، وُلد (مشروع وقاية الشباب)؛ فكان مشروعاً طبياً وقائياً، لحماية الشباب من المخاطر التي تُحيط بهم في زمن الفضائيات والإنترنت، وكان كذلك رسالة دعوية للهدى والاستقامة. ولا يمكن لمنصفٍ التحدث عن مشروع وقاية الشباب دون الإشارة إلى الاتحاد العالمي للجمعيات الطبية الإسلامية؛ حيث يُبين الدكتور القضاة ذلك بقوله: "كخبير في الأمراض المنقولة جنسياً والأيدز؛ طلب مني المدير التنفيذي للاتحاد أن أمثله (أي الاتحاد) في المؤتمرات العالمية الخاصة بهذه الأمراض. وكنتيجة للمشاركات الدولية الواسعة وغيرها الكثير؛ تسنى لي الاطلاع على حجم المشكلة، مما قدح الفكرة في ذهني، ثم أنضجها. فصُغتُ المشروع بشكله الأولي،

وقدمته لإدارة الاتحاد؛ ليتم تنفيذ المشروع تحت مظلته. فرحبت الإدارة بالفكرة، وصار أحد مشاريعها الرئيسية؛ وبذلك أسهم الاتحاد بانطلاقة المشروع ابتداءً، واتساع رقعة انتشاره بعد ذلك."[1]

تم التركيز في الجزء الأول من المشروع على «وقاية الشباب من الأمراض المنقولة جنسياً والإيدز»، تحت شعار «يداً بيد لوقاية الشباب» لمواجهة بعض نتائج الثورة الجنسية العالمية من خلاله. وكان هذا المشروع، رغم الإمكانات المتواضعة وقلة العاملين، من أنجح البرامج الشبابية في مجاله: فقد شهد بذلك القريب والبعيد، وانتشر في أرجاء الأرض انتشاراً سريعاً، واستضافته وتستضيفه العديد من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، في مختلف الأقطار.

خصائص الطرح.

لم يأتِ طرح هذا المشروع تكراراً لغيره من البرامج العاملة في ذات المجال؛ بل تميز بخصائص نذكر منها:

---

(١) المقابلة الخاصة.

- التشخيص العلمي الدقيق والصريح للمشكلة، وهذا لا يكون إلا من مثل هذا العالِم الدقيق في علمه، والداعية الجريء في طرحه؛ لمعالجتها من جذورها، حيث إن أس المشكلة وأساسها هو الانفلات الجنسي الرهيب الذي ترعاه وتحميه الحضارة الغربية، بينما تجد العديد من البرامج الدولية تتنكر للكثير من الحقائق التي أثبتها البحث العلمي، حيث ثبت بالبحث والدراسة والعقل والمنطق بما لا يدع مجالاً للشك بأن الزنا والشذوذ والمخدرات هي المسبب لانتشار هذه الأمراض، ولمكافحتها لا بد من تطبيق برامج جادة في التربية على الفضيلة والعفاف .... وهذا ما يتوهم الغرب أنه تجاوز على الحرية الشخصية، وبالتالي تنكب الطريق وتجنب الأخذ بالوسائل الناجعة لحل المشكلة والوقاية من هذه الأمراض. وهذا هو السر في سعة انتشارها وسرعته، وفي عدم قدرة العالم على القضاء على هذه الأمراض، والتخلص منها، كما نجح في ذلك مع العديد من الأمراض العادية الأخرى كالجدري؛ عندما تعامل مع الأمر بمهنية وعلمية صافية.

- الالتزام بالضوابط الشرعية والأخلاقية ومراعاة

العادات والتقاليد والثقافات والقيم للمجتمعات التي يتم تنفيذ المشروع فيها. وكيف لا يكون كذلك؟ وصاحب هذا المشروع ومؤسسه، علمٌ من أعلام الدعوة إلى الالتزام الشرعي، والانضباط الأخلاقي. فالمشروع لا يهدف إلى إدخال ثقافات غريبة عن هذه المجتمعات، أو يطرح وسائل تتعارض مع المبادئ الدينية والقيم الأخلاقية لها، بل إن طروحات المشروع تتواءم مع الفطرة السليمة، فتتقبلها النفوس بالرضا والتسليم.

- الطرح القائم على أساس من التعاليم السماوية، والتوجيهات الربانية. فالغالبية العظمى من وسائل هذا المشروع مستمدة من مصادر التشريع الرباني ونصوصه. وتركز على النظرة السماوية الرافضة للسلوكيات المحرمة التي تؤدي إلى حدوث هذه الأمراض،[1] وبالتالي فإن أدواته الرئيسية من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، مؤيَّدةٌ بالإحصائيات العلمية الدقيقة، والدراسات الحديثة، والصورة المعبرة؛ يتم طرحها بأسلوب علمي سلس شيِّقٍ غير ممل.

(١) حيث أن جميع الأديان السماوية تحرم الزنا والشذوذ والمخدرات.

منهجية المشروع:

تقوم منهجية المشروع على استقطاب القيادات الميدانية من المتطوعين الشباب - وخاصة من الأئمة والوعاظ والمعلمين والمعلمات والدعاة وطلاب الجامعات والمدارس الثانوية...الخ - لتثقيفهم وتدريبهم وتأهيلهم على أيدي خبراء ومختصين من خلال دورات متخصصة وقائية توعوية، تطوعية مجانية يعقدونها لهم، يتم تزويدهم خلالها بحقيبة تدريبية تحتوي على ملفات وكتب وملازم متخصصة بهذه الأوبئة، لتمكينهم من القدرة على تثقيف الآخرين وتوعيتهم بمخاطر الأمراض المنقولة جنسياً، وكيفية الوقاية منها وتجنبها. كما يُمنح المتدرب شهادة بحضور الدورة، صادرة من الاتحاد العالمي للجمعيات الطبية الإسلامية FIMA)).

ويحتوي هذا المشروع على ثلاثة مستويات من الدورات هي:

المستوى الأول: دورات أصدقاء فريق وقاية الشباب من الأمراض المنقولة جنسياً، وهي مصممة لطلاب الثانويات والجامعات، والمقصود بها توعيتهم بالمخاطر في هذه المرحلة العُمرية الحرجة، ومدتها يوم واحد.

والمستوى الثاني: دورات إعداد المحاضرين في الوقاية من الأمراض المنقولة جنسياً، وهي مصممة للأئمة والوعاظ والمعلمين والمعلمات ومن في مستواهم العلمي والعُمري، ومدتها ثلاثة أيام، ومن يجتازها يُمنح شهادة خاصة من الاتحاد، ويتعهد المتدرب بالمشاركة في عشر فعاليات مجتمعية سنوياً، تصب في أهداف المشروع، خصوصاً تلك التي تستهدف طلاب المدارس والمراكز القرآنية والشبابية.

أما المستوى الثالث: فعبارة عن دورات لإعداد المدربين في هذا المشروع، وهي مصممة لمن اجتاز الدورات السابقة وعمل بالمشروع على الأقل لمدة عام، وأثبت اهتمامه بالشباب وقدم العديد من المحاضرات، وأحب أن يُكمل المشوار، ومدتها خمسة أيام، ولها دبلوم خاص من الاتحاد العالمي للجمعيات الطبية الإسلامية، ليُصبح مدرباً للآخرين في هذا المشروع، كما يقوم بتدريب المشاركين في المستويين الأول والثاني في منطقته.

أهداف المشروع:

ويهدف المشروع إلى العمل على إبعاد الشباب عن المحرمات، وخاصة الزنا والشذوذ والمخدرات؛ إذ هي أُس المشكلة وأساسها، ثم تكثيف الجهود الوقائية المختلفة لوقاية الشباب عامة، وشباب الأمة الإسلامية خاصة من هذه الآفات والأوبئة، وذلك بتدريب مائة ألف متطوع ومتطوعة في العالم، بحيث يُنفذ كل متطوع عشر فعاليات على الأقل سنوياً، للوصول بإذن الله، في كل عام إلى مليون فعالية توعوية وقائية، علمية صحية؛ لتثقيف الشباب والمراهقين للوقاية من الأمراض المنقولة جنسياً، ولتصحيح المفاهيم المغلوطة التي يروج لها خبراء الغرب، الغرباء عن مجتمعاتنا الإسلامية، من خلال الدورات التي يعقدونها لهذا الشأن على طريقتهم الغربية، وهي إن صلُحت للغرب فلا تصلح لبلادنا؛ لأنها تتعارض مع معتقدات وعادات المجتمعات الإسلامية وقيمها. كما يهدف المشروع إلى إرشاد الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والمربين والمرشدين كيف يُثقفون طلابهم وأبناءهم وبناتهم جنسياً، في مراحلهم

العمرية المختلفة، وتزويدهم بالمفاهيم الشرعية والعلمية الصحيحة، الكفيلة بوقايتهم وحمايتهم والمساعِدة في كمال عبادتهم، وحُسن تصورهم وتصريفهم للغريزة الجنسية.

من إنجازات المشروع:

تم من خلال هذا المشروع حتى تاريخ إعداد هذا البحث: عقد مائة وأربع وخمسين (١٥٤) دورة تدريبية، في أكثر من عشرين(٢٠) دولة مختلفة، بأكثر من لغة، استفاد منها أكثر من ثلاثة عشر ألف (١٣٠٠٠) متدرب ومتدربة، من أكثر من خمسين (٥٠) جنسية. كما تم تأليف أكثر من سبع عشرة (١٧) مادة علمية وتربوية، ودليلاً تدريبياً برؤية إسلامية؛ لخدمة أهداف هذا المشروع، طُبع منها ووُزع أكثر من مليون ونصف المليون نسخة، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الأقراص المدمجة لمحاضرات توعوية صُممت وصورت تلفزيونياً خصيصاً للتوعية. وقد شارك المتطوعون المنبثون في الأقطار العربية والإسلامية بكثير من الإنجازات، من خلال الإعلام والتأليف والمحاضرات، ومن الجدير بالذكر أن للمرأة اليد الطولى في هذا المشروع.

الخلاصة والتوصيات

هذه إطلالة موجزة على منهجية التفكير عند بعض علمائنا الأجلاء، اختاروها عن علم وبصيرة، وجدّوا واجتهدوا وتبحّروا في تخصصاتهم، والتزموا بها، فقدموا للإنسانية الكثير، وأصبحوا أعلاماً في الدعوة إلى الله رغم أن تخصصاتهم الأكاديمية ليست في العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، فكل شاب أو فتاة هو مشروع داعية إذا التزم ذات الطريق واهتم بنفسه منذ البداية، واتبع سبيل الصالحين ممن سبقوه واقتفى أثرهم ... فمجالسة العلماء العاملين وتتبع أثرهم فضيلة ونجاح، والتشبه بأهل الفلاح فلاح.

وهذه الرسالة هي لكل الشباب؛ بغض النظر عن التخصص أو العمل، فبعض الناس يكون داعية للخير من خلال تخصصه، وبعضهم من خلال عمله، وبعضهم بحُسن خلقه والتزامه، ولو لم ينبس ببنت شفة. وفي ختام هذه الرسالة، يتوجه الدكتور عبد الحميد القضاة من خلال مقابلة فردية معه إلى القارئ الكريم وخاصة الشباب منهم

بالتوصيات الآتية:

نوجه دعوة خاصة لكل شاب وفتاة، إلى السير على ذات الطريق الذي سار عليه علماؤنا الأفذاذ، فهذه النماذج بين أيديكم قائمة. وإنما تحتاجون إلى العناية بأنفسكم منذ البداية، وأخذ أنفسكم على محامل الجد والتعب، وعدم الركون إلى الراحة والدعة. وقد قال أهل العلم والخبرة من قبل: "إن هذا العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلَّك، فإنك إن أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً." ولتكن هممكم عالية، لتحصيل المطالب الغالية؛ وليس أغلى من عِلم العاملين، فهو عز للمرء في الدنيا، ومنجاة له يوم الدين. إنَّ الأمة بأمس الحاجة لمثل هذه النماذج من العلماء الأفذاذ البارعين في علومهم، المسكونين بهمّ الدعوة إلى ربهم؛ فكوني أنتِ ... وكن أنتَ الألمعي اللوذعي الذي يجعل من علمه وسيلة لدعوته، ولمعرفة ربه وتعريف الناس به.

كما نؤكد لكم أيها الشباب، على ضرورة العمل بالإسلام والتزام منهجه، وعرضه بالأسلوب المعاصر، مستفيدين من التقنيات الحديثة، وما طرأ عليها من تقدم علمي هائل.

ففي منهجنا الإسلامي ليس بين العلم والدين إلّا التوافق والانسجام والتطور والابتكار، وكل منهما يدعو إلى الآخر، ويوصل إليه.

وفي الختام نتمنى على الجهات المعنية المختلفة، أن تأخذ هذه القضية (صناعة العلماء الدعاة) على درجة عالية من الأهمية، فتضع لذلك البرامج التربوية المناسبة، التي تتدرج مع الأبناء ابتداءً من الصفوف المدرسية الأولى، حتى نهاية الدراسات الجامعية العليا. فتوجه الشباب بذلك التوجيه الصحيح هو الذي يؤدي إلى النتائج السليمة لتحقيق المطلوب. ولا يتحقق ذلك إلا بتكاتف الجهود من مختلف الأطراف التربوية والتوجيهية في بنية المجتمع.

والحمد لله رب العلمين